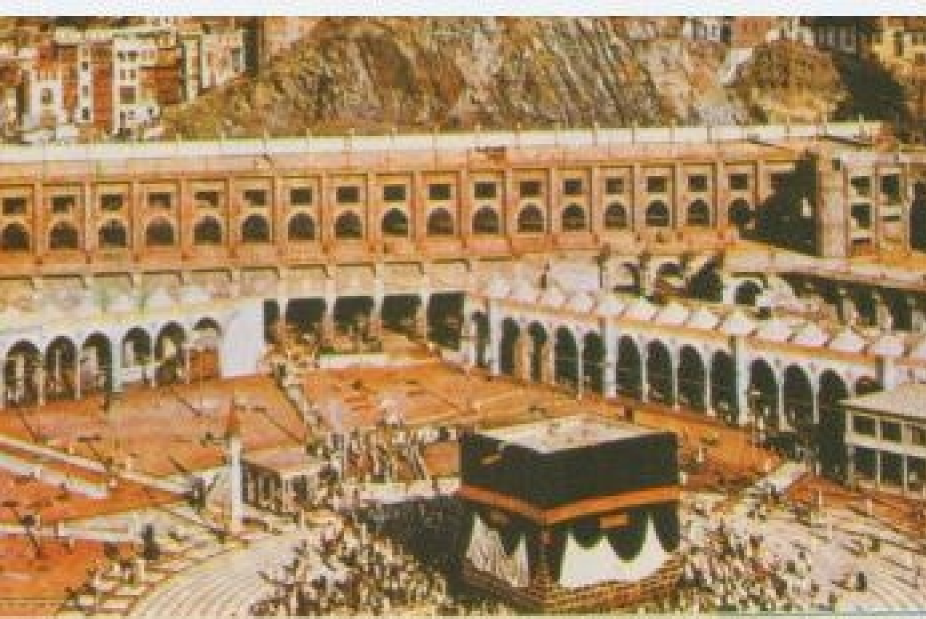




وقفية دراسات الدكتور
هشام عجيمي
٤

تاريخ مكة المشرفة
المُسمّى
الأخبار المكية

محمد عاشق بن الحافظ عمر الرومي الحنفي
(كان حيا سنة ١٠٢٢ هـ/ ١٦١٣م)

ترجمة الأستاذ الدكتور
هشام بن محمد علي بن حسن عجيمي

مركز التاريخ العربي للنشر





تاريخ مكة المشرفة

المسمى بـ

الأخبار المكية

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م

اســــم الكتـــــاب: تاريخ مكة المشرفة المسمى بـ«الأخبار المكية»

اســــم المؤلــــف: محمد عاشق بن الحافظ عمر الرومى الحنفى

اســــم المتـــرجم: أ.د هشام بن محمد على بن حسن عجيمى

موضــوع الكتـــاب: تاريخ

مقـــاس الكتـــاب: ١٧ × ٢٤ سم

عــــدد الصــفحات: ٩٠

رقـــم الإيـــداع: 978-605-69742-6-8 **I.S.B.N**

التوزيع والنشر

٦/١١ شارع وحيد أفندي – حي توفيق بك – كوجوك

جكمجه – أسطنبول – تركيا – ت: ٠٠٩٠٥٤٥٤٨٨٦٨٧٠

هاتف: ٠٠٢٠١٠٢٧٠١٣٣٢٦ – ٠٠٢٠١٥٥٥٥٦٦١٣٩

E-mail: info@arabhistorypublishing.com

Website: www.arabhisorypublishing.com





تاريخ مكة المشرفة

المسمى بـ

الأخبار المكية

محمد عاشق بن الحافظ عمر الرومي الحنفي

(كان حيًا سنة ١٠٢٢ هـ/ ١٦١٣م)

ترجمة الأستاذ الدكتور

هشام بن محمد علي بن حسن عجيمي





مقدمة المترجم

الحمد لله رب العالمين حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد بن عبدالله الهاشمي وآله الطاهرين، وسلم تسليمًا بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين.

أما بعد:

فهذه ترجمة لكتاب (تاريخ مكة المشرفة المسمى بالأخبار المكية)، لمؤلفه محمد عاشق الرومي الحنفي، الذى كان حيًا سنة ١٠٢٢ هـ/ ١٦١٣م، وكتب تاريخه عن مكة المكرمة سنة ١٠١١ هـ/ ١٦٠٢م باللسان التركي العثمنلي. ولا أعلم أنه ترجم إلى اللسان العربي، وقد استحسنت ترجمته ليندرج ضمن سلسلة مصادر تاريخ مكة المكرمة العربية، زادها الله تعالى تعظيمًا وتشريفًا وتكريمًا (١).

***

(١) ذكر المترجم –حفظه الله– أن زميله سعادة الأستاذ الدكتور/ نبيل بن عبد الحي رضوان، كان يقوم بتحقيق ذلك المخطوط، ولكن منعته ظروفه الصحية.

وصف المخطوط:

العنوان: تاريخ مكة المشرفة المسمى بالأخبار المكية.

المؤلف: محمد عاشق الحنفي. كان حيًا سنة ١٠٢٢هـ ١٦١٣م.

تاريخ التأليف: ١٠١١هـ ١٦٠٢م.

تاريخ النسخ: ١٠٧٣هـ ١٦٦٢م.

عدد الصفحات: ٥٤ صفحة.

المسطرة: ٢٦×١٨ سم، ٢٣ سطر في الصفحة.

نوع الخط: نسخ دارج حسن.

مكان الحفظ: قسم المخطوطات، جامعة الرياض (الملك سعود حاليًا)، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(وهذا المخطوط أحد المخطوطات التي تم نقلها من المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة إلى جامعة الرياض سنة ١٣٩٨هـ، وكان رقم حفظه في المكتبة المحمودية ٨ ر ٩٥٣ ت.ح).

رقم الحفظ في مكتبة جامعة الرياض سابقًا (الملك سعود حاليًا)

قسم المخطوطات: ٥٠ / ١م.

***

ترجمة المؤلف

المؤلف محمد عاشق أفندي الرومـي الحنفـي، تـرجم لـه الأسـتاذ المـؤرخ محمد طاهر بورسه لي في كتابه المؤلفون العثمانيون، ترجمة نصها:

(عاشق محمد بن الحافظ عمر الرومي: أحد ذوات القضاة والمـؤرخين، لـه مؤلف كبير في مجلدين بالتركية سماه «مناظر العوالم»، رتبه على ٢٨ منظرًا، القسـم الأعظم منه حول الجغرافيا. وذكره كاتب جلبـي في كشـف الظنـون، وأفـاد أن لـه (تاريخ) استقاه مـن كتـب التـاريخ، ومـرآة الزمـان، وحيـاة الحيـوان، ومسـالك الممالك، وآثار البلاد، وتحفة الدهر، ونزهة القلوب، وخريدة العجائـب، وزبـدة الطب. رتبه على مقدمة وبابين وخاتمـة؛ تنـاول في المقدمـة إثبـات الواجـب، وفي الباب الأول من العوالم العلوية، وفي الباب الثاني مـن العـوالم السـفلية، وبحـث في الخاتمة ختام الزمان.

وله كتاب فصل فيه عن بلاد الأناضـول والـروملي سـماه (خلاصـة الأخبـار) وهو غير مطبوع.

وفي سنة ١٠١١هـ ألف كتاب (تاريخ المدينة المنـورة) مـع كتـاب (الأخبـار المكية) رتبه على ثمانية أبواب.

وفي مكتبة السلطان سليم الثاني بمدينة أدرنه له كتاب (شرح شمائل الترمذي) كتبه سنة ١٠٢٢هـ بالعربية. وذكره الطرابزونلي صاحب الآثار وفصل عنـه، وذكـر

أن اسمه محمد بن عمر بن بايزيد العاشق) (١).

من خلال الترجمة السابقة نلحظ أن الأستاذ محمد طاهر البروسه لي، لم يتوصل إلى تاريخ ولادة المؤلف ولا تاريخ وفاته، كما يظهر أن الطرابزونلي صاحب الآثار، الذى نقل عنه البروسه لي - والذي لم يتيسر لي الاطلاع على كتابه الآثار - لم يذكر فترة حياة المؤلف.

ونستشف مما ورد أن المؤلف محمد عاشق الرومي الحنفي من مواليد الثلث الثاني من القرن العاشر الهجري، وتوفي في الثلث الأول من القرن الحادي عشر الهجري تقريبًا، لأنه كان حيًا سنة ١٠٢٢هـ، حين كتب كتابه شمائل الترمذي كما سبق ذكره. وهذا يعني أن المؤلف محمد عاشق قد عاصر - وربما تلقى - عن مؤرخ مكة المكرمة العز جار الله محمد بن النجم عبد العزيز بن التقي عمر بن محمد بن فهد المكي الهاشمي القرشي المتوفي سنة ٩٥٤هـ ١٥٤٧م.

كما نستشف من المعلومات التي ذكرها المؤلف تصنيفًا في كتابه هذا الأخبار المكية أنه عاصر ستة من سلاطين آل عثمان وهم:

السلطان سليم الأول القانوني بن سليم الأول ٩٢٦ - ٩٧٤هـ/ ١٥٢٠ - ١٥٦٦م.

السلطان سليم الثاني بن سليمان ٩٧٤ - ٩٨٢هـ/ ١٥٦٦ - ١٥٧٤م.

---

(١) - محرري: بروسه لي محمد طاهر، عثمانلي مؤلفلري، توركية جمهوريتي، معارف وكالتي نشرياتندن، عدد ٦٣، اوجنجى جلد، صحيفة ٩٤. ٩٥، استانبول، مطبعهء عامره، ١٣٤٢ هجرية.

السلطان مراد الثالث بن سليم الثاني ٩٨٢ - ١٠٠٤هـ/ ١٥٧٤ - ١٥٩٥م.

السلطان محمد الثالث بن مراد الثالث ١٠٠٤ - ١٠١٢هـ/ ١٥٩٥ - ١٦٠٣م.

السلطان أحمد الأول بن محمد الثالث ١٠١٢ - ١٠٢٧هـ/ ١٦٠٣ - ١٦١٧م.

والسلطان مصطفى الأول بن محمد الثالث ١٠٢٧ - ١٠٢٨هـ/ ١٦١٧ - ١٦١٨م.

كما نستشف أن المؤلف تلقى العلوم الشرعية حتى وصل إلى القضاء، وله إطلاع واسع في التاريخ والجغرافيا والطب والحكمة الإلهية والطبيعية، بدليل تأليفه في تلك المجالات.

وأن المؤلف محمد عاشق الحنفي جاور في المدينة النورة سنة ١٠١١هـ، وكتب فيه كتابه (تاريخ المدينة المنورة)، لخصه من كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى -عليه وآله الصلاة والسلام- للسيد السمهودي المتوفى سنة ٩١١هـ، وكتابيه: تاريخ المدينة المنورة، والأخبار المكية، كتبهما باللغة التركية العثمنلية.

ويبدو أن المؤلف طالت مجاورته في المدينة المنورة، فأتقن خلالها اللغة العربية، فكانت ثمرة مجاورته في المدينة المنورة قيامه بكتابة مؤلفاته، ومنها أيضًا شرح شمائل سيدنا ومولانا رسول الله -عليه وآله الصلاة والسلام-، التي ألفها المحدث الترمذي، وكتب هذا الشرح باللغة العربية سنة ١٠٢٢هـ.

***

دراسة المخطوط وأهميته:

١- كتب هذا المخطوط ضمن مجموع كتب سنة ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٢م، كما ذكر الناسخ في لوحة ٥٤ سطر ٢١، تاريخ انتهاء نسخه للكتاب يوم الثلاثاء ٨/ ٤/ ١٠٧٣هـ، أي بعد ٦٢ سنة من تصنيف المؤلف محمد عاشق الحنفي لكتابه هذا سنة ١٠١١هـ/ ١٦٠٢م، كما ذكر في لوحة ١ سطر ٤.

٢- لم يذكر الناسخ اسمه، ولا مكان نسخه، والمرجح أن الكتاب نسخ في المدينة المنورة.

٣- عنوان الكاتب كما سماه مؤلفه في لوحة ١ سطر ٥ (أخبار مكية) أو (الأخبار المكية). وعليه يكون العنوان (**تاريخ مكة المشرفة المسمى الأخبار المكية**) الوارد في صفحة عنوان نسخة منقولة كتبت سنة ١٠٧٣ه، وذكر هذا التاريخ من إضافات الناسخ. وبنيت عليه البطاقة التعريفية للمخطوط.

٤- اسم المؤلف كما ذكر هو بنفسه في لوحة ١ سطر ٣ (محمد عاشق الحنفي)، أما ناسخ الكتاب سنة ١٠٧٣خ فذكر اسم المؤلف (محمد عاشقي أفندي)، وعليه ذكر في البطاقة التعريفية للكتاب.

٥- شرع المؤلف في كتابة (الأخبار المكية) في أواخر شهر ربيع الثاني سنة ١٠١١هـ/ ١٦٠٢م، كما ذكر في لوحة ١ سطر ٤، ٥. وأضاف الناسخ في عنوان المخطوط عبارة (ترجمة وتصنيف)، وهذا يشير إلى أن المؤلف لم يكن مترجمًا فقط، بل أضاف معلومات في تأليفه.

٦- أصل هذا المخطوط الذى كتبه المؤلف محمد عاشق سنة ١٠١١هـ، لم

أعثر عليه في المدونات والمعاجم المطبوعة والمنشورة، ومواقع المصادر والمراجع التاريخية التركية العثمانية في الشبكة المعلوماتية التي اطلعت عليها.

٧- ينتظم هذا الكتاب (تاريخ مكة المشرفة المسمى الأخبار المكية) في سلك عقد تواريخ مكة المكرمة -زادها الله تعالى تشريفًا وتعظيمًا- بعد مؤلفات مؤرخ مكة المكرمة العز جار الله محمد بن النجم عبد العزيز بن التقي عمر بن محمد بن فهد المكي الهاشمي القرشي، المتوفي سنة ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م. وخاصة كتابيه: «التحفة اللطيفة في أنباء المسجد الحرام والكعبة الشريفة»، وكتاب «الجواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان بن عثمان».

٨- يذكر المؤلف محمد عاشقي في كتابه هذا معلومات المؤرخ المعاصر للأحداث التي علمها في وقته، أو شارك فيها بنفسه، في فترة حكم السلاطين العثمانيين الذين عاصرهم. وتعتبر المعلومات التي أضافها المؤلف في تاريخه، مكملة لما أورده العز جار الله محمد بن فهد المكي، الذي كتب كتابه «الجواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان بن عثمان»، ثم توفى سنة ٩٥٤هـ أي في زمن حكم السلطان سليمان، ثم توفي السلطان سليمان سنة ٩٧٤هـ، وهذا يعنى أن أحداث تاريخ مكة المكرمة في العشرين سنة المتبقية من حكم السلطان سليمان لم يسجلها المؤرخ العز محمد بن فهد بحكم وفاته، وسجلها المؤرخ محمد عاشقي في كتابه هذا، تسجيل المؤرخ المعاصر لفترة السلطان سليمان، ومن بعده من سلاطين آل عثمان الذين عاصرهم المؤلف، والسابق ذكرهم. ومن هنا تظهر أهمية كتاب «الأخبار المكية».

٩- ترجم وصنف المؤلف مؤلفاته عن الحرمين الشريفين والمدينتين المقدستين، إلى التركية العثمنلية، وأودعها في «مكتبة السلطان محمود» في المدينة المنورة، ليطلع عليها المهتمون من زوار المدينة المنورة من الأتراك، ويعرفوا - ولو بشكل مجمل ومبسط - عن تاريخ بلد الله تعالى الحرام مكة المكرمة، وتاريخ مدينة سيدنا ومولانا محمد رسول الله عليه وآله الصلاة والسلام.

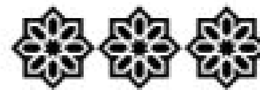
***

منهج الترجمة:

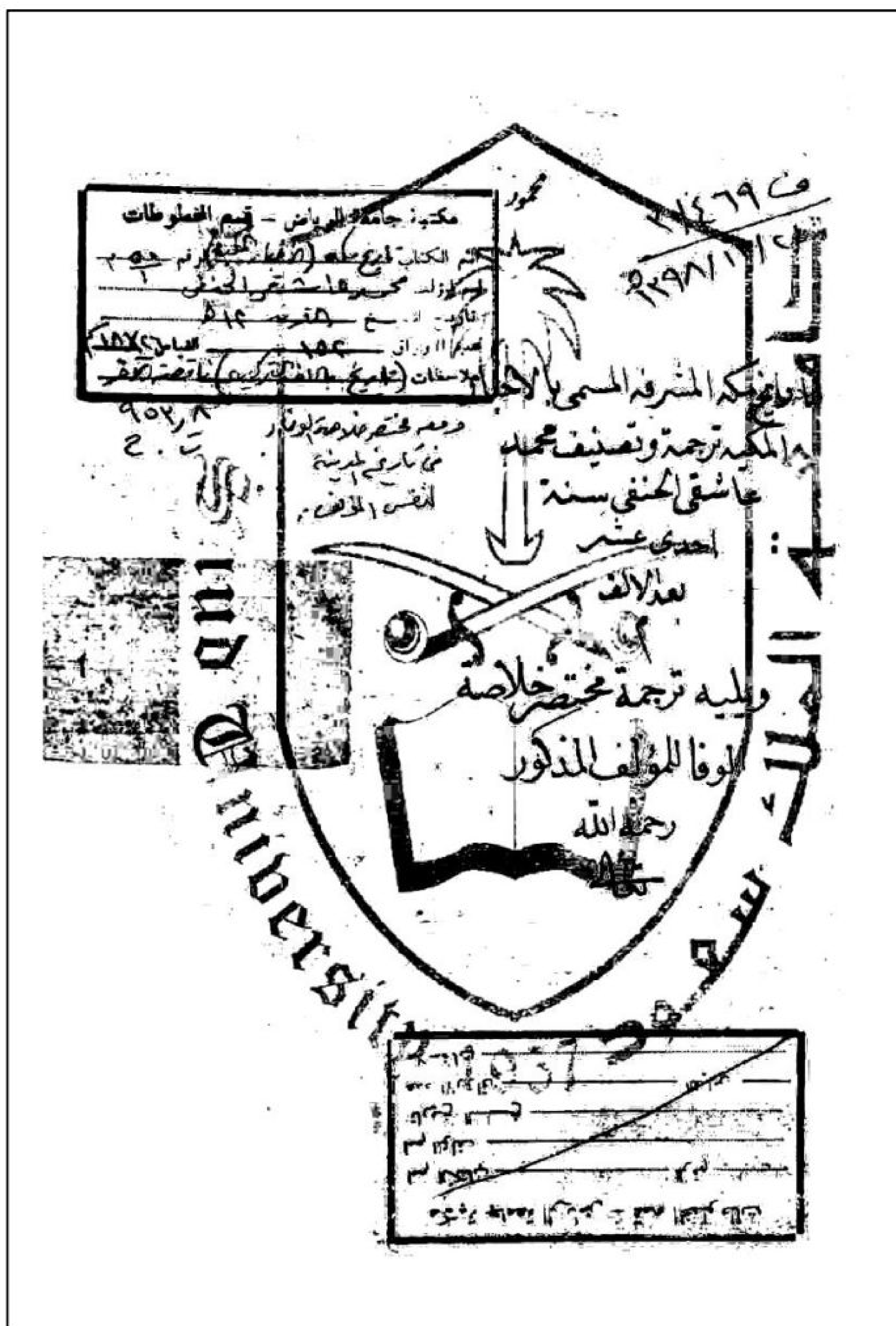
نهجت في ترجمة نص كتاب «الأخبار المكية» كما هو دون تدخل فيه، لأن النص ينم عن فكر المؤلف وعقيدته ومذهبه ومدرسته الدينية، وروح المؤلف ومنهجه في التأليف التاريخي.

ولم أعلق على أي مفردة فيه في أي مجال من المجالات العلمية؛ دينية أم تاريخية أم جغرافية أم غيرها، لأن هذا واجب من يقوم بتحقيق نص هذا المخطوط، وفق أصول الدراسة والنشر والتحقيق العلمي.

وحرصت على تقديم ترجمة لنص المخطوط وفق أصول الترجمة العلمية المتعارف عليها، وخاصة في المجال التاريخي، وأصول تحرير الكتابة بعامة.

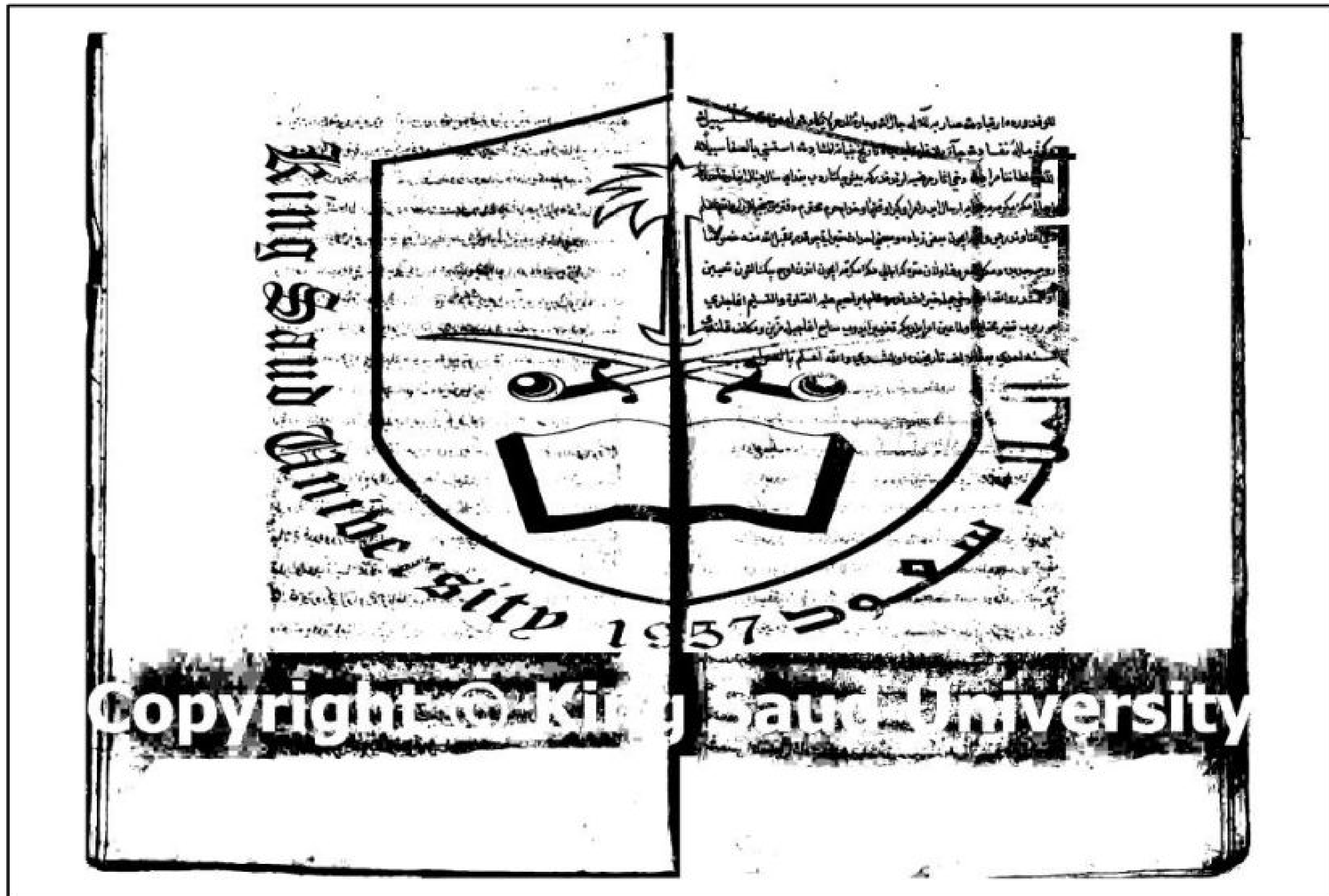


صفحة العنوان من المخطوط



اللوحة الأولى من المخطوط

اللوحة الأخيرة من المخطوط





ترجمة نص مخطوط

«الأخبار المكية»(١)

(١) ذكر المترجم نقلا عن المؤلف أن هذا الكتاب معه مختصر خلاصة الوفاء في تاريخ المدينة، لنفس المؤلف. لكنه اكتفى بترجمة هذا الكتاب، وننوه هنا بالكتاب الثاني لينتبه له الباحثون.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين

[ص١] الحمد لله الذى شرّف الكعبة البيت الحرام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام.

أما بعد؛

فإن الفقير –الحقير– محمد عاشق الحنفي، بعد أن أنهى تأليفه من ترجمة تاريخ المدينة المنورة باللسان التركي، التمس إليه بعض الأحباء لترجمة تاريخ مكة لحصول المراد. وشرعت في ذلك في أواخر شهر ربيع الثاني سنة إحدى عشر بعد الألف. وجعلته ورتبته على ثمانية أبواب. وسميته «الأخبار المكية»، والله الموفق:

الباب الأول: بيان موضع مكة المشرفة، وأسمائها المباركة.

الباب الثاني: بيان بناء الكعبة المشرفة.

الباب الثالث: بيان حال المسجد الحرام في الجاهلية وما حصل له من توسيعات.

الباب الرابع: بيان زيادات الخلفاء العباسيين في المسجد الحرام.

الباب الخامس: بيان الزيادتين الحاصلتين للمسجد الحرام بعد تربيعه.

الباب السادس: بيان ترميمات دول الجراكسة للمسجد الشريف.

الباب السابع: بيان تجديد وترميم دولة آل عثمان للمسجد الشريف، وبيان الخيرات والإحسانات التي عملها أهالي مكة المكرمة في المسجد الحرام.

الباب الثامن: بيان الأبواب والقباب الواقعة في المسجد الحرام.

الباب الأول

بيان موضع مكة المشرفة، وأسمائها المباركة

لا يخفي بيان موقع مكة المشرفة وأسمائها المباركة؛ فهي تقع بين سلسلتي جبال، وطولها يبدأ ويمتد من المكان المسمى بالمعلاة وفيه المقبرة الشريفة، وينتهي في المكان المسمى الشبيكة، وعرضها من الجانبين تحف به الجبال. ولها ثلاثة مداخل فقط؛ أولها من جهة المعلاة، وثانيها من جهة الشبيكة، وثالثها من الموضع المعروف باسم طريق المسفلة، وفي جبالها بعض المنافذ إليها. أما الكعبة المعظمة، [ص٢] فتتوسط موضع المسجد الحرام، الذى يتوسط مبناه بين سلسلتي الجبال التي تحيط به.

أما أسماء مكة المكرمة فهي كثيرة، نذكر منها على سبيل الإجمال:

مكة، وبكة، والمعطشة، والعروض، والبلد الأمين، والبلد، والقرية، وكوثى، وأم القرى، وفاران، والمقدسة، وقرية النمل، والحاطمة، والوادي، والحرم، والعرش، وبره، وصَلَاح -على وزن حذام-، وطيبة، ومَعاد -بفتح الميم-، والبَاسّة - بباء موحدة مفتوحة وسين مهملة مشددة-، والناشّة - بنون وشين معجمة مشددة-.

وقد صنفت رسالة في أسماء مكة، وذكر الإمام النووي أن مكة لا مثيل لها بين المدن، ولا يماثل مكة والمدينة بقعة؛ لأنهما أشرف بقاع الأرض، والله أعلم.

الباب الثاني

بيان بناء الكعبة المشرفة

لا يخفي بناء الكعبة المشرفة، فقد بنيت عشر مرات:

البناء الأول للكعبة الشريفة: بناء الملائكة:

فقد روى أن الحق تعالى أراد أن يجعل حضرة آدم خليفة في الأرض. فقالت له الملائكة إن بني آدم سيفسدون في الأرض، وسيسفكون دمائهم. فقال لهم الحق تعالى إني أعلم ما لا تعلمون، بما سيحدث في أرضي. وفي حينها خافت الملائكة وأدركت غضب الحق تعالى، فأخذوا في البكاء والتضرع والاستغفار، وطافوا حول العرش ثلاث ساعات. فرحمهم الحق تعالى، وقال لهم إني خلقت تحت عرشي البيت المعمور، قائم على أربعة أسطوانات من الزبرجد، وفوقه بيت من الياقوت الأحمر، وأمرهم بالطواف حوله كما يطوفون بالعرش. وبعد ذلك أرسل الحق تعالى ملائكة إلى الأرض، وأمرهم ببناء بيت على سمت ومنوال البيت المعمور، ليطوف الخلائق به.

البناء الثاني للكعبة الشريفة: بناء حضرة آدم - عليه الصلاة والسلام :

فمن مرويات ابن عباس رضي الله عنهما، إن حضرة أدم عليه الصلاة والسلام حين أُخرج من الجنة وأُهبط إلى الأرض قال: يا رب لم لا أسمع أصوات الملائكة؟ فقال له الحق تعالى: تناول من قمح الأرض، ومن أجلي عليك بناء بيتي، وطف به ولا تفتر عن

ذكري، كما رأيت ملائكتي يطوفون حول عرشي.

وبعد ذلك سار آدم في الأرض، وبارك الحق تعالى في أقدامه [ص٣] وطُويت له الأرض، وصارت كل مفازة يمر بها خطوة، وأصبحت معمورة، حتى وصل إلى موضع البيت الحرام؛ فبناه.

وفي رواية، إن جبرائيل ضرب الأرض بقناديل مباركة حتى انكشفت الأرض السابعة، وأبرز عن أُس ثابت في الأرض، ثم أن الملائكة أخذوا يقذفون الصخر في ذلك الأساس، وأن الصخرة الواحدة لا يستطيع حملها ثلاثون رجلًا، حتى استوت على وجه الأرض. وبنى آدم البيت الحرام، مثل بناء الملائكة الذي انهدم، واستأنس آدم بالطواف بالبيت كما تستأنس الملائكة بالطواف حول البيت المعمور. هذا هو أساس بناء الكعبة وكيفية وضعها، والله أعلم.

وفي رواية عن كعب الأحبار ﵁، أن الحق تعالى أنزل مع حضرة آدم ياقوتة مجوفة، وقال له هذا بيتي في الأرض؛ فطف به كما يُطاف بعرشي، وصلِ إليه كما يُصلى إلى عرشي. وأنزل مع الملائكة حجارة من البيت المعمور هي أصول أساس الكعبة، ووضعت على سمت البيت المعمور، وأمر حضرةَ آدمَ بالطواف حوله كما يُطاف حول العرش. وعندما أغرق الحق تعالى قوم نوح ﵇، رفع البيت المعمور، وأبقى قواعده أو أصوله.

وفي رواية عن أبى هريرة ﵁، أن حضرة آدم حج، وبعد أن قضى مناسكه قال: يا رب إن كل عامل له أجر، فجائه الوارد من الحق تعالى: لقد قضيتُ أن من جاء من ذريتك المذنبين إلى هذا البيت واستغفرني غفرت له. فكان حضرة آدم

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يطوف سبعة أسابيع في الليل، وخمسة أسابيع في النهار، ويقول في طوافه: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

وذكر «الأزرقي»، وهو من المؤرخين، أن حضرة آدم عندما كان يطوف بالبيت سبعًا، يقف أمام باب الكعبة ويصلي ركعتين، ثم يقف في الملتزم ويدعو: اللهم إنك تعلم سريرتي وعلانيتي فاقبل معذرتي، وتعلم ما في نفسي وما عندي فاغفر لي ذنوبي، وتعلم حاجتي فاعطني سؤالي، اللهم إني أسألك إيمانًا يباشر قلبي، ويقينًا صادقًا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي، والرضا بما قضيت علي. فأوحى الحق تعالى إلى حضرة آدم - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: قد قبلت دعائك، وإذا دعا أحد من ذريتك بهذا الدعاء قبلته منه ويسرت مراده في الدنيا والآخرة. [ص ٤]

البناء الثالث للكعبة الشريفة: بناء أولاد حضرة آدم:

ذكر «الأزرقي» أنه بعد وفاة حضرة آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ورفع البيت المعمور الذي نزل معه، بنى أولاده بيت الله في نفس الموضع، وبقي هذا البناء إلى زمن حضرة نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وأنا – الحقير – لم يخف عليّ هذا الكلام، لأن هذا الكلام ورد ما ينافيه بروايات أخرى، والله أعلم.

البناء الرابع للكعبة الشريفة: بناء حضرة إبراهيم الخليل -صلوات الله عليه-:

بناء حضرة إبراهيم الخليل صلوات الله عليه ثابت عند أهل السنة والفرس، برواية عن حضرة علي رضي الله عنه. وروى «الفاكهي» أن أول بناء للبيت هو بناء حضرة إبراهيم. وجزم «ابن كثير» بأن أول بناء للبيت الشريف هو بناء حضرة خليل الرحمن، وأن الأبنية الثلاثة المتقدم ذكرها ليس لها أصل ثابت.

وأقول -أنا الحقير- لمن ينكر الأبنية الثلاثة السابقة بأنها ثابتة بما فيه الكفاية، وثبوتها ظاهر وباهر عند أهل العقول، والله أعلم بحقيقة الحال.

ومن مرويات الأزرقي، أن حضرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام بنى البيت بارتفاع تسعة أذرع، وطوله في واجهة البيت من جهة الحجر الأسود إلى الركن الشامي اثنان وثلاثون ذراعًا، وطول ظهر البيت من جانب الركن الغربي إلى الركن اليماني اثنان وثلاثون ذراعًا، وعرضه من الركن اليماني إلى الحجر الأسود عشرون ذراعًا، ومن الركن الغربي إلى الركن الشمالي عشرون ذراعًا. وفتح للبيت الشريف بوابتان على مستوى سطح الأرض؛ بوابة في واجهة البيت قرب الحجر الأسود، وبوابة على سمتها في ظهر البيت.

واستمرت كذلك حتى جاء التُّبع الحِمْيَرِي وصنع له بابين من خشب، وركبهما على البوابتين، وكسى البيت بقماش القباطي.

كما أن حضرة إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه، حفر حفرة عميقة في الجانب الأيمن داخل البيت الشريف، لتكون خزانة توضع فيها الهدايا التي تُهدى

للبيت الشريف.

وفي أثناء بناء حضرة إبراهيم للبيت وارتفاع البناء، أمر حضرة إبراهيم من ابنه حضرة إسماعيل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يحضر له حجرًا يقوم عليه أثناء البناء، فأحضر حضرة إسماعيل حجر المقام، وكان ينقل لأبيه حجر المقام حول البيت أثناء البناء.

وعندما وصل حضرة إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود، أمر ابنه حضرة إسماعيل بإحضار حجر يكون [ص٥] علامة لبداية الطواف بالبيت. وعندما ذهب حضرة إسماعيل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لإحضار الحجر، جاء حضرة جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالحجر الأسود من جبل أبي قبيس.

حيث وضع فيه الحجر الأسود أمانة منذ زمن طوفان نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ووضع حضرة جبرائيل الحجر الأسود في موضعه، وأتم أحكام بنائه حضرة إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وكان الحجر الأسود يشع نورًا في كافة أرجاء الحرم المحترم، ولكن بعد ذلك سَوَّدَتْهُ ذنوب الجاهلية.

وحضرة إبراهيم لم يجعل للبيت الشريف سقفًا، وبنى جدرانه رضمًا، أي بِرَصّ الأحجار فقط. وفي رواية لابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن جبرائيل أحضر الحجر الأسود من الجنة ووضعه في الأرض، وقال أنه سيظل في الأرض مشاهدًا ما دام التمسك بالدين.

وفي رواية من كتاب «العرائس» أن حضرة إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعد أن أنجاه الحق تعالى من نار النمرود الملعون، تزوج من ابنة عمه سارة، ورحل بها إلى

مصر، وكان يحكمها فرعون من الفراعنة، وكانت سارة في غاية الجمال، فجاء إبليس اللعين إلى فرعون، وأخبره بأن امرأة في غاية الجمال اسمها سارة قد نزلت مصر مع أخيها إبراهيم. وعندما كان حضرة إبراهيم منشغلًا في صلاته، كشف له الحق تعالى عن نية فرعون مصر وما سيحدث، وأخبر إبراهيم سارة بما سيكون، فطلبت سارة من الحق تعالى أن ينجيها من فرعون ويخلصها من ضرره، فاستجاب الحق تعالى لدعائها. وطلب فرعون الملعون بإحضار إبراهيم وسارة، وبعد أن رأى فرعون سارة اندهش من جمالها [ص٦] ولكنه لم يتمكن من إيذائها أو التعرض لها بسوء، ووهبها جارية في غاية الجمال اسمها «هاجر». وبذلك أنجى الحق تعالى سارة من شر الفرعون الملعون. فقالت هاجر الحمد لله الذي كفاني كيد الفاجر ووهبني هاجر. ولأن الحق تعالى انجى سارة وهبت سارة جاريتها هاجر إلى حضرة إبراهيم.

ثم أنجبت هاجر ابنها إسماعيل من حضرة إبراهيم عليه السلام، وبعدها أنجبت سارة إسحاق، ثم يعقوب عليهما السلام، وكان حضرة إبراهيم قد بلغ مائة وعشرين سنة، وأنجبت سارة ابنها يعقوب وعمرها تسعون سنة. ثم دب الخلاف بين سارة وهاجر، لأن سارة كانت تعتبر إسماعيل ابن الجارية، ولأن حضرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان يقول أن إسماعيل هو الإمام من بعده، واشتد الخلاف بين سارة وهاجر؛ [ص٧] فأوحى الحق تعالى إلى حضرة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - وأمره بالهجرة مع هاجر وابنه إسماعيل إلى مكة المكرمة.

ورافق جبرائيل عليه السلام حضرة إبراهيم، وبَيَّن له موضع مكة المكرمة، التي لم

تكن معمورة، وتقع في وادٍ ليس فيه زرع، وكان موضع البيت الحرام ربوة حمراء التربة، فأنزل حضرة إبراهيم هاجر وابنه إسماعيل في موضع الحِجْر. وقالت هاجر لحضرة إبراهيم: هل أمرك الحق بإنزالنا في هذا المكان؟ قال: نعم، فقالت: إذن لن يضيعنا. وذهب حضرة إبراهيم، وبعد أيام غلبهم العطش، وازداد العطش بالرضيع إسماعيل، فقامت هاجر وصعدت إلى ربوة الصفا ثم إلى ربوة المروة عدة مرات؛ لعلها ترى ما يدل على وجود الماء، وفي هذه الأثناء جاء جبرائيل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وركض برجله الأرض فظهر ماء زمزم، فأسرعت هاجر إليها وشربت وسقت ابنها إسماعيل، وقالت: أعلم أن الله لن يضيعنا.

وزمت هاجر بيديها نبع الماء وهى تقول: زمي زمي، وفي الحديث الشريف أن هاجر استعجلت وقالت للنبع زمي، ولولا قولها لكانت زمزم عين عظيمة.

ثم جاءت طائفة من قبيلة جرهم اليمنية، وهى في طريقها إلى الشام، فرأوا الطيور تحوم جهة جبل أبى قبيس، فعرفوا وجود الماء، واستأذنوا هاجر في النزول والسكن بجوارها، فأذِنَتْ لهم. وكان هذا أول عمار لمكة المكرمة. وما لبثت أن توفيت هاجر عليها السلام، فدفنها ابنها حضرة إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ في موضع الحِجْر. وتكاثر بنو إسماعيل، وتعلَّم إسماعيل وبنوه اللسان العربي من قبيلة جرهم، فكان بنو إسماعيل عربًا مستعربين ينطقون باللسان العربي، وحضرة إبراهيم ينطق باللسان العبراني، والله أعلم.

[ص٨] ثم أن حضرة إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جاء إلى مكة المكرمة لبناء بيت الله الحرام مع ابنه إسماعيل بأمر الحق تعالى، وبعد الانتهاء من البناء أمر الحق

تعالى حضرة إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالأذان بالحج للبيت الحرام، فقال حضرة إبراهيم: يا رب كيف يسمع كل الناس ندائي؟ فأوحى الحق تعالى إليه: عليك النداء وعلينا البلاغ. فقال حضرة إبراهيم: أيها الناس إن الحق تعالى أمرني ببناء البيت وأمر بالحج إليه فحجوا إليه، وسمع كل الناس نداء حضرة إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وأصبح معلومًا عندهم، وبذلك شرع الأذان وشرعت التلبية، والله أعلم.

وبعد ذلك أنجب حضرة إسماعيل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اثنى عشر ولدًا، ثم توفي وعمره مائة وثلاثين سنة، فدفنه أبنائه في الحِجْر بجوار والدته هاجر. فتولى رعاية البيت بعده ابنيه ثابت وقيدار. وبعد وفاتهم انتقلت ولاية البيت إلى قبيلة جرهم لتغلبهم على مكة المكرمة، فغيرت جرهم شريعة إبراهيم وإسماعيل ولم يتعظوا؛ فأخرجتهم قبيلة خزاعة من مكة وتولوا رعاية البيت. وبعد زمن غيرت خزاعة شريعة إبراهيم وإسماعيل، فظهرت قبيلة قريش وأخرجتهم من مكة المكرمة وتولت قريش رعاية البيت الحرام.

وأنا –الحقير– اختصرت في هذا المقام هذه الأخبار، فليراجع التاريخ.

البناء الخامس والبناء السادس للكعبة الشريفة: بناء العمالقة وجرهم:

عن طائفة العمالقة وطائفة جرهم هناك رواية عن حضرة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي آخر الرواية أن حضرة إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعد أن بنى البيت انعدم بعد مدة، فبنته العمالقة وهم من بني جرهم، ثم انهدم البيت بعد مدة فبنته جرهم،

وبالجملة فإن الرواية تقتضي أن البناء الخامس تم على يد العمالقة، والبناء السادس كان على يد جرهم، وكلاهما وارد، والله أعلم بحقيقة الحال.

البناء السابع للكعبة الشريفة: بناء قُصِيّ:

روي أن قصي بنى البيت الحرام وأحكم بنائه وزينه بأحسن زينة، وكان غاية بناء البيت التعظيم والتكريم وليس للزينة، حتى أن المساكن لم تكن بجوار البيت تعظيمًا له.

[ص٩] ولكن قصي أراد إظهار عظمته وشوكته وسلطانه، فرخص ببناء المساكن حول البيت الشريف، وجعل مسافة للطواف بالبيت، وقسم ما حول البيت بين العشائر، ليدافعوا عن بيت الله الحرام في حال القتال والهجوم على البيت، وبدأ بنفسه ببناء دار الندوة ليكون مكانًا للاجتماع والتشاور في مصالحهم. فأصبحت مكة المكرمة منظمة من حيث البناء، وصحن المطاف متسع للطائفين.

وبعد وفاة قصي المذكور تولى ابنه هاشم زعامة مكة في عز وعلو مكانة، وخدمة بيت الله الحرام، وإكرام الحجيج بإطعامهم وإسكانهم. وبعد وفاته تولى ابنه عبد المطلب، ولم يكن له سوى ابن واحد اسمه الحارث، فظهر عليه يومًا عدي بن نوفل ينازع عبد المطلب في زعامة مكة، فنذر عبد المطلب إن رزقه الحق تعالى عشرة من الأبناء أن يقدم أحدهم قربانًا للبيت الحرام، فرزقه الحق تعالى عشرة من الأبناء، ووجب عليه الوفاء بالنذر، فاعترضت عليه قريش في نذره هذا حتى لا تصبح سنة لهم، وأصر عبد المطلب بالوفاء بالنذر، وتقديم ابنه عبدالله

أحب أبنائه إليه وإلى عشيرته، فاحتكموا إلى كاهنة مسخرة لها الجن، فحكمت بـأن تجرى قرعة بضرب الأقداح وتقديم الدية عشرة من الإبل، فضـربوا الأقـداح وفي كل مرة تظهر النتيجة على ذبح عبدالله، حتى وصلت الدية مائة من الإبل فخرجـت الأقداح على الإبل، وأعاد عبد المطلب ضرب الأقداح ثلاث مرات، وفي كل مـرة تظهر على مائة من الإبل، فذبح عبد المطلب مائة مـن الإبـل، وأنقـذ الحـق تعـالى عبدالله بن عبد المطلب من الذبح، وأكل الناس والطير والوحش مـن لحـوم مائـة من الإبل، وتقررت الدية مائة من الإبل والله أعلم.

البناء الثامن للكعبة الشريفة: بناء قريش:

ورد في رواية [ص١٠] أن امرأة كانت تقوم بتعطير الكعبة الشـريفة بـالبخور، فطارت شرارة من المجمرة فأشـعلت ثيـاب الكعبـة الشـريفة، واحتـرق السـقف الخشبي للكعبة، فوهن بناء الكعبة، ثم سقطت أمطـار غزيـرة وجـاء سـيل عظـيم أسقط معظم جدران الكعبة. وقررت قريش بناء الكعبـة مجـددًا، والتـي مـر عـلى بنائها قرابة المائة عـام. وكانـت سـفينة قـد جنحـت في سـاحل جـدة فتكسـرت، فاشترت قريش أخشابها لبناء سقف الكعبة. وهابت قريش هدم بقية جدران الكعبة على زعمهم، ومن سيصرف على البناء، فقـرروا أخـذ مـا كـان محفوظًـا في خزانـة الكعبة من الهدايا التي أهديت إليها للصرف على البناء. وأرسل الحق تعـالى طـائرًا أخذ الثعبان الكبير الذي ظهر داخل الكعبة، فتفاءلت قريش بذلك واعتبـروه إذنًـا من الحق تعالى ببناء الكعبة.

وبعد ذلك اتفقت عشائر قريش وتعاهدوا على أن يبنى البيت الحرام بمال حلال، وأن يوزع بناء الجدران بين عشائر قريش، فكان الجدار الذي فيه الباب لبني زهرة، والجدار من الركن اليماني إلى الحجر الأسود لبني عبد الدار، وبالجملة بقية عشائر قريش لبناء الجدارين الباقيين، ولم يكن حضرة سيدنا محمد -ﷺ- قد بُعث بعد. وبدأ الهدم ثم الحفر حتى وصلوا إلى الحجارة الخضراء وهى أساسات الكعبة فشهد كل الحاضرين بذلك، وبدأوا البناء حتى وصلوا إلى موضع الحجر الأسود، فاختلفوا فيمن ينال شرف وضعه في موضعه، حتى كادوا أن يقتتلوا، ثم اتفقوا على أن أول من يدخل من باب الصفا هو من يضع الحجر الأسود، فانتظروا حتى ظهر ودخل حضرة سيدنا محمد -ﷺ- من باب الصفا، فقالت قريش [ص١١] هذا محمد الأمين؛ رضينا بحكمه. فكان من كمال أمانته وصدقه أن بسط رداءه ووضع فيه الحجر الأسود بيده الشريفة، وطلب من رئيس كل عشيرة بإمساك طرف من الرداء، وحمل الرداء إلى موضع الحجر من الكعبة، فحمل -عليه وآله الصلاة والسلام- الحجر الأسود ووضعه بيده الشريفة في موضعه من الكعبة، وتم إكمال البناء.

وكان ارتفاع مبنى الكعبة ثمانية عشر ذراعًا، أي بزيادة تسعة أذرع عن بناء خليل الله إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام. وقصرت قريش جدران الكعبة من جهة الحطيم لعدم وجود مال حلال، وجعلت للكعبة بابًا واحدًا ورفعته عن الأرض، وبنت صفين من الدرج في كل صف ستة دعسات في الركن الشامي داخل الكعبة للصعود إلى سطح الكعبة، والله أعلم.

البناء التاسع للكعبة الشريفة: بناء عبدالله بن الزبير رضي الله عنه:

هذا البناء كان في زمن الإسلام. وتفصيله أنه ورد ذكر رواية عن حضرة عائشة -رضي الله عنها- أن حضرة نبينا ﷺ قال لها: يا عائشة لو لا أن قومك حديثو عهد بالإسلام – أي أنهم قريبو عهد بالشرك وفي بداية الإسلام – لهدمت الكعبة وبنيتها، وجعلت لها بابين؛ بابًا شرقيًا وبابًا غربيًا، وجعلت ارتفاعها ستة أذرع، وأدخلت الحطيم الذي تركته قريش في بناء الكعبة. وليراجع الحديث في صحيح البخاري وصحيح مسلم لقصوري في ترجمته. وبالجملة فإن «عبدالله بن الزبير» رضي الله عنه قد استمع إلى رواية خالته، وقد استشار أصحابه؛ فبعضهم جوّز له ذلك، وبعضهم عارض حسب رؤيتهم، وبعضهم توقف [ص١٢].

وبعد أن نوى وعزم وجزم بهدم الكعبة وبنائها على مراد نبينا ﷺ، كما يوجب ذلك الحديث الشريف المذكور، أحضر من صنعاء اليمن ما يحتاجه من لوازم البناء. وبدأ في هدم الكعبة حتى وصل إلى أساسات حضرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وأدخل مساحة الحطيم إلى البيت العظيم، وجعل للكعبة بابين بابًا شرقيًا وبابًا غربيًا وجعلهما على مستوى أرض المطاف. وبعد أن انتهى من بناء الكعبة الشريفة على مقتضى الحديث المذكور، رصف ببقية الأحجار أرضية المطاف بمقدار عشرة أذرع، وتم ذلك بتاريخ السابع والعشرين من شهر المحرم سنة أربع وستين. وفي هذا اليوم خرج أهالي مكة إلى التنعيم لأداء العمرة شكرًا لله تعالى، وذبحوا مائة من الإبل قربانًا لله تعالى، وكان يومًا مشهودًا كأنه عيد، وجعلوا هذا اليوم عادة لأداء العمرة من كل عام والله أعلم.

البناء العاشر للكعبة الشريفة: بناء الحجاج:

وبيانه أنه في سنة ثلاث وسبعين حاصر «الحجاج بن يوسف الثقفي» مكة بعسكر عظيم بأمر من «عبد الملك بن مروان»، ونصب على جبل أبي قبيس منجنيقًا ضرب به الكعبة الشريفة. وبعد قتال استمر عدة شهور استشهد ابن الزبير. وبعدها في سنة أربع وسبعين عرض الحجاج على عبد الملك أن ابن الزبير زاد في مساحة الكعبة، وأحدث بابًا ثانيًا للكعبة، فأمره عبد الملك بإعادة بناء الكعبة كما كانت على زمن رسول الله ﷺ الشريف. فهدم الحجاج الكعبة من جهة الحطيم، وقصر منه ستة أذرع وبنى الجدار على أساسات بناء قريش، ورصف بحجارة الهدم باقي صحن المطاف، ورفع الباب الشرقي عن مستوى صحن المطاف، وسد الباب الغربي للكعبة، وأبقى الجدران الثلاثة للكعبة وزاد ارتفاعها، كما هو موجود حاليًا، وبنى الجدار الغربي بحجر مغاير في اللون قليلًا والله أعلم.

وبعد أن فرغ الحجاج من البناء حضر عبد الملك بن مروان في تلك السنة ومعه «الحارث بن عبدالله المخزومي» [ص١٣] لأداء فريضة الحج. وفي رواية من الثقات، أن الحارث المذكور قد تذاكر مع عبد الملك بخصوص بناء الكعبة، وقال له أن الحديث عن حضرة عائشة كما زعم ابن الزبير قد سمعه من حضرة عائشة، فتفكر عبد الملك ساعة وبعدها أقسم بأنه لم يعلم به وحديثها على رأسي، ولو تأكدت وعلمت حال ابن الزبير لتركت ما أحدثه في بناء الكعبة.

ويظهر لي -أنا الحقير- أن عبد الملك آثم معتد في كلامه وعرضه هذا، والله أعلم.

فصل في بيان تحلية الكعبة المعظمة:

روي أن أول تحلية للكعبة كانت تحلية عبدالله بن الزبير، عندما كسى أعمدة الكعبة بصفائح منقوشة من الذهب، كما صنع لها مفتاحًا من الذهب، وروي أن «الوليد بن عبد الملك» قام بكسوة باب الكعبة بصفائح الذهب المنقوشة، وكسى درج الكعبة أيضًا بصفائح الذهب المنقوش، وصرف في ذلك أموالًا كثيرة. وفي داخل هذا الفصل كلام كثير تركته، وذكرت المهم منه، ومن أراده يراجعه في أصوله.

فصل في بيان معلقات الكعبة من قناديل وغيره:

رُوي أن «كلّاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي» أهدى الكعبة سيفه المحلى بالذهب، وعلقه داخلها. ومن بعده المأمون الذي أهدى الكعبة سلسلة من الذهب مرصعة بالياقوت، وتم تعليقها يوم الموسم في وجه الكعبة. ومن بعده «المتوكل على الله»، ثم توالت هدايا الخلفاء التي تم تعليقها داخل الكعبة ذكرت بالتفصيل في أصولها.

وأنا –الحقير– قد تركت ذكرها؛ لأن الأولى صرف تلك الأموال على الفقراء.

فصل في بيان كسوة الكعبة الشريفة:

بدأت كسوة الكعبة عندما كساها ملك أو تُبّع اليمن الحميري، وهو أول من كساها، وذلك زمن الجاهلية. ثم قامت قريش بكسوة الكعبة كل عام، واستمر ذلك حتى زمن «ربيعة بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم»، وكان كثير المال، فطلب

من قبيلته قريش أن يكسو الكعبة عامًا، وبقية عشائر قريش عامًا [ص١٤] واستمر الحال كذلك إلى زمن وفاة ربيعة المذكور.

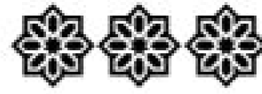
ومن رواية للأزرقي أن حضرة سيدنا ونبينا محمد -ﷺ- كان يكسو الكعبة الشريفة من ثياب كانت تأتي من اليمن، وفي الرواية أيضًا أنها كانت تكسى مرتين في السنة. واستمر الحال كذلك حتى زمن المأمون الذي أمر بكسوة الكعبة ثلاثة مرات في السنة، واستمر الحال كذلك حتى ضعُف الخلفاء العباسيون.

وبعد ذلك كانت كسوة الكعبة الشريفة تأتي من سلاطين مصر وسلاطين اليمن. وفي آخر الأمر قرر «صالح بن ناصر بن قلاوون»، من سلاطين مصر، بشراء قريتين من قرى مصر وأوقف ريعها لصالح كسوة الكعبة الشريفة، فكان سلاطين مصر يرسلون كسوة الكعبة الشريفة كل عام، حتى قل ريع القريتين المذكورتين، ثم أشرفت على الخراب، وقلت مصاريف كسوة الكعبة الشريفة ولم تكن كافية، فكانت المصاريف تكمل من خزينة مصر.

واستمر الحال كذلك حتى زمن «السلطان سليمان خان» عليه الرحمة والرضوان، وفي زمنه الشريف اشترى بعض القرى بمصر وأضافها إلى القريتين المذكورتين، وبنى مكانًا لصناعة الكسوة الشريفة وإرسالها إلى مكة المكرمة على الاستمرار والدوام، جزاه الله تعالى خير الجزاء.

فائدة

في رواية من الأزرقي، أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بعد أن يضع الكسوة الجديدة للكعبة يقطع الكسوة القديمة ويوزعها على حجاج بيت الله الحرام وأهالي مكة المكرمة. وفي زمن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما كان كذلك، ولكنه كان ينكر هذا الفعل، ويرى أن الكسوة يجب أن تعطى وتخصص لآل الشيبي مقابل خدمتهم للبيت الحرام، ولم يكن الحال كذلك، والله أعلم.



الباب الثالث

التوسعة الثالثة للمسجد الحرام

لم تكـن مكـة المكرمـة في الجاهليـة موجـودة. وبعـد بنـاء حضـرة إبـراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ للكعبة الشريفة لم يكن حوالي البيت الشريف مسـاكن. وفي زمـن قصي بن كلّاب أسكن قومة حول البيت الشريف، وترك مساحة للطواف به، كمـا بَيَّنَّاه. [ص١٥] واستمر الحال كذلك حتى زمن خلافـة عمـر بـن الخطـاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي خلافته كثر سكنى الناس حول المسـجد الحـرام. وفي سـنة سـبعة عشـر مـن خلافته هجم سيل عظيم من جهة المدعى، ودخل المسجد الحرام، وحمـل حجـر المقام الإبراهيمي وألقاه أسفل مكة المكرمة، وعرف هذا السـيل باسـم سـيل «أم نهشل بنت عبيد بن سعيد بن العاص» لأنها ماتت بسببه.

وعندما كان حضرة عمر في المدينة المنورة، ووصله خبر السيل، خـاف أشـد الخوف، ونوى في الحال العمرة إلى مكة ودخـل في شـهر رمضـان. وبعـد أن رأى المقام، ناشد الناس أن يحددوا مكانه الذي كان فيـه، فقـال «المطلـب بـن وادعـة السهمي»: يا أمير المؤمنين، أنا أعلـم مكـان المقـام، فقـد أخـذت حـبلًا وقسـت المسافة من موضع المقام إلى بئر زمـزم، لإزالـة أي وهـم في هـذه الحـال، فـأمره حضرة عمر بإحضار الحبل، وقاس المسافة بموجبه، وتم وضـع حجـر المقـام في موضعه.

وفي رواية من الأزرقي، أن المسجد الحرام لم يكن له جدران في نواحيه. وكانت بيوت قريش تحيط به، وبينها طرق تؤدي إلى المسجد الحرام. وفي زمن حضرة عمر رضي الله عنه الشريف، كثر سكنى الناس حول المسجد الحرام، فاشترى حضرة عمر رضي الله عنه من الناس دورهم وأدخلها في مساحة المسجد الحرام. وبعد ذلك أصبح للمسجد الحرام جدارًا يحيط به بشكل كامل، وفتحت في جدرانه الأبواب، وكانت المساكن لم يكن لها أبواب، وبعد ذلك اتخذت الأبواب في المساكن.

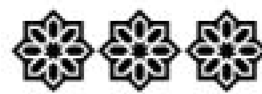
وفي السنة المذكورة أمر حضرة عمر بعمل ردم في أعلى مكة، لحفظ المسجد الحرام من السيول من كل جوانبه، وكان ذلك برؤية من بني جُمَحْ – بضم الجيم وميم مفتوحة وحاء مهملة- اسم طائفة من قريش، وهذا مشهور ومعروف عند أهالي مكة.

وبعد ذلك، في زمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، سنة ست وعشرين [ص ١٦] رواية تذكر أن حضرة عثمان رضي الله عنه في السنة المذكورة خرج من المدينة المنورة إلى مكة معتمرًا، ودخل المسجد الحرام وطاف وسعى، وأمر بتوسعة المسجد الشريف، وأراد شراء البيوت المحيطة بالمسجد، فاعترض الأهالي وأظهروا عدم الرضا، فقال لهم: أن حلمي عليكم جرأكم عليّ، ولكن عمر لما قام بمثل فعلي لم تنكروا عليه، فأمر بحبس المعترضين، فشفع فيهم بعض الأشراف فتركهم. وفي الرواية أن حضرة عثمان رضي الله عنه أحدث أروقة المسجد الشريف.

وبعد ذلك حدثت زيادة عبدالله بن الزبير رضي الله عنه. والمروي أن ابن الزبير لم يبايع

«يزيد ابن معاوية»، وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسـان، وبـايع يزيـد أهالي مصر والشام. فأرسل يزيد عساكره بقيادة «حصين بن نميـر» وحاصـر مكـة، فلجأ ابن الزبير إلى المسجد الحرام وتحصن به. ونصـب الحصـين منجنيقًـا أعـلى جبل أبي قبيس وضرب الكعبة، فسـقط بعـض جـدرانها وسـقفها الخشـبي، ممـا استدعى تجديد بنائها. ولما جاء خبر هلاك يزيد، فك الحصين حصار مكة، وأخذ ابن الزبير في إعادة بناء الكعبة الشريفة على قواعد إبراهيم -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- وأحدث ابن الزبير بعض الزيادة في المسجد الحرام مع تجديد الكعبـة، والله أعلم.

وفي رواية من الأزرقـي أن عبـدالله بـن الزبيـر اشـترى بعـض أمـلاك أجـداد الأزرقي التي كانت ملاصقة لجدار المسجد الحرام -وكانت واسـعة المسـاحة- وأضافها إلى مساحة المسـجد الحـرام. وفي الروايـة أن ابـن الزبيـر قـام بتسـقيف المسجد الشريف بخشب الساج المـزين، بعضـها معلـوم وبعضـها غيـر معلـوم، وكانت عمارة صغيرة، والله أعلم.



الباب الرابع

التوسعة الرابعة للمسجد الحرام زمن الخلفاء العباسيين

لبيان هذه الزيادة، ورد في الروايات أنه في سنة ثلاث وثلاثين ومائة، أمر «أبو جعفر المنصور» بزيادة المسجد الشريف [ص١٧] من الجانب الشامي، مما يلي دار الندوة في ركن بني سهم إلى المنارة. أما الجهة الجنوبية فثابتة لا يمكن الزيادة فيها لأنها كانت في مواجهة السيل الذي يدخل منه إلى المسجد الشريف. واشترى أبو جعفر المنصور بعض البيوت وأدخلها في مساحة المسجد الشريف في توسعته، وأمر ببناء منارة في الجانب الجنوبي الأعلى، وفي ذلك الجانب منارة من بناء الوليد بن عبد الملك وكانت متصلة بها. وبالجملة زخرف المنصور المسجد الشريف بالفسيفساء، وحلاه بالذهب، وكسى الحطيم بأحجار الرخام. وفي رواية أن عمارته استغرقت ثلاث سنوات، وانتهت سنة أربعين ومائة، والله أعلم.

وبعد ذلك في سنة ستين ومائة حج أمير المؤمنين «المهدي العباسي»، ونزل في دار الندوة، وزاره «عبيد الله بن عثمان بن إبراهيم» وكشف له حجر مقام خليل الرحمن، وصب له فيه من ماء زمزم وشرب منه. وبعد ذلك أمر المهدي بإزالة الكسوات القديمة التي كانت على الكعبة وكانت تمثل ثقلًا عليها، وأمر طلاء جدران الكعبة بالمسك والعنبر والغالية، ثم قدم كسوتها الجديدة المصنوعة من الديباج والحرير، وأخذ الكسوات القديمة. وأمر بإعطاء أهالي الحرمين الشريفين

أموالًا كثيرة لا تعد ولا تحصى، وتوزيع تلك الأموال عليهم، وسلمها إلى قاضي مكة «محمد بن محمد بن عبد الرحمن المخزومي».

واشترى المهدى البيوت الواقعة في الجانب الأعلى من المسجد الشريف، وأمر بهدمها وإدخالها إلى مساحة المسجد الشريف. وأشار عليه القاضي المذكور بشراء وهدم البيوت الواقعة بين المسعى والمسجد الشريف وهدمها وإدخالها في مساحة البيت الشريف، والموقوف منها يستبدل في أماكن أوسع وأحسن.

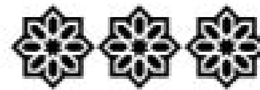
وقد أحدث المهدي زيادتين في المسجد الشريف هذه أولها، وفيها تمت الزيادة أسفل المسجد الشريف في جهة باب بني سهم المعروف حاليًا باسم باب العمرة [ص١٨] إلى باب إبراهيم في الجهة الشامية، والزيادة في الجهة اليمانية إلى قبة الزيت. وهذه بالجملة زيادة المهدي المذكور.

وبعد ذلك في سنة أربع وستين ومئة، حج الخليفة المهدي، ورأى أن الكعبة المعظمة لا تتوسط المسجد الشريف، فجمع المهندسين وقال لهم بوجوب إضافة مساحة من الجهة اليمانية إلى مساحة المسجد حتى تكون الكعبة المشرفة وسط المسجد. وبعد ذلك وبمعرفة المهندسين تم تحديد البيوت اللازم شراؤها وهدمها وإدخال مساحتها إلى المسجد الشريف، وإحداث باب جديد بجوار باب الحزورة المعروف، وتسميته بـ «باب أم هانئ»، بدلًا من باب الحزورة، لأن بيتها قريب من تلك الجهة، وإدخال مساحة البيوت القديمة من زمن الجاهلية، وبيوت الفقراء الميتين، إلى مساحة المسجد الشريف. وبالجملة فقد كانت زيادة المهدي الثانية أكبر من الزيادة الأولى، وصرف عليها أموالًا كثيرة، وحلى المسجد الشريف

بالذهب واللازورد المنقوش. وتمت عمارته سنة تسع وتسعين ومئة، أتمها بعد وفاته ابنه «الهادي» عندما اعتلى سرير الخلافة، وأمر بإتمام عمارة المسجد الشريف، ولم يبالغ المهدي في التذهيب والتزيين، والله أعلم.

وبعد ذلك في زمن الخليفة «الرشيد العباسي» حجت والدته «الخيزران» سنة إحدى وسبعين ومئة، وأحسنت إلى أهالي مكة المكرمة، واشترت البيت الذي المأثور الواقع في الصفا. وهذا البيت كان يجتمع فيه الرسول الأكرم -ﷺ- بأصحابه خفية في بداية الإسلام، والذي بنى عليه حضرة عمر رضي الله عنه قبة وجعله مزارًا، وعرف باسم قبة الوحي، فعرفت [ص١٩] حالًا بـ «دار الخيزران»، ودخلت بطريقة في ملك السادة بني الحسن.

وعند إجراء عين عرفات اشترى المرحوم «إبراهيم دفتردار» دار الخيزران من السادة ومعها بيتان، وأهداها إلى حضرة «السلطان سليم خان» عليه رحمة الملك الوحداني، عندما كان وليًا للعهد. وبعد ذلك انتقلت إلى السلاطين بحكم الإرث. وبعد ذلك عندما تولى حضرة «السلطان مراد خان» عليه الرحمة والرضوان؛ أصدر أمرًا واجب الامتثال بتعمير المنازل الثلاثة عمارة مكلفة حسنة، وشرع في بنائها سنة تسع وتسعين وتسعمائة.



الباب الخامس

العمارة الخامسة للمسجد الحرام

بعد تربيع مساحة المسجد الحرام، بعد الزيادتين التين زادهما المهدي بن المنصور العباسي، حدث ترميم في الجانب الغربي من المسجد الحرام. وحدث ذلك سنة إحدى وسبعين ومائتين، في دولة «المعتمد بالله»، عندما ظهر نوع ضعف في جدران الجانب الغربي من المسجد عند الباب المعروف بباب الخياطين إلى قرب الباب المعروف باسم باب إبراهيم، وبقربه بيت منسوب إلى السيدة «زبيدة بنت أبي جعفر المنصور»، وكان سقف المنزل المذكور متصل بسقف المسجد الشريف، فسقط سقف المنزل وسقط معه جزء من سقف المسجد، وسقط عامودان من أعمدة المسجد الشريف، فأرسل أعيان الناس الخبر إلى الخليفة، فأمر الخليفة بتعميره وتعمير المسجد الشريف، وإعادة بناء العمودين الساقطين، وتزيين المسجد، وتم الترميم في تلك السنة، والله أعلم.

ومن الحوادث التي وقعت في تلك السنة، أن قاضي مكة المكرمة عرض على الوزير أن دار الندوة أصبحت خرابًا ومزبلة، وأصبحت ضررًا على المسجد الحرام، خاصة بعد تجمع مياه الأمطار ونجاستها التي تصل إلى داخل المسجد الحرام [ص ٢٠] وإذا تيسر على الخليفة إزالة ذلك فله خير عظيم. وعرض عليه أيضًا أن سقف الحرم الشريف آل إلى الخراب، فإن مياه الأمطار تسقط على

المصلين فيتضرروا، وعرض أيضًا أن مياه السيول تجلب تراب وادي مكة المكرمة فتتراكم في الجانب اليماني من المسجد الحرام؛ فتمنع المصلين من الطواف والصلاة، ولذلك يجب إزالة تلك الأتربة. وعرض أيضًا أن خدام الكعبة المشرفة نزلوا بغداد، وعرضوا على ديوان الخلافة أن وجه جدران الكعبة الداخلية يلزم عملها بالرخام، وعرضوا أيضًا أن أمير مكة المكرمة عندما خرج في فتنة بعض العلويين سنة إحدى وخمسين ومئتين، قلع صفائح الذهب التي كانت تكسو باب الكعبة ليتقوى في خروجه، وبعد ذلك في آخر الفتنة سنة ثمان وستين ومئتين قدم الأمير المذكور بعض الفضة والذهب الذي لم يصرفه إلى الحجاج تبركًا، وصرف بعضه في الترميم والتعمير بالجملة، فعرض الوزير المطلع تلك العروض على الخليفة، وقبلها وعرف مرادها، فأصدر أمره بعد ذلك بإرسال الأموال الجزيلة، وهدم دار الندوة، وعمل مجرى للسيل حول كامل المسجد الحرام ملاصقة لجدرانه.

وتم عمل ستة أبواب للمسجد الشريف، وكان عرض كل باب خمسة أذرع، وارتفاعه أحد عشر ذراعًا، وداخل كل باب تم عمل باب صغير آخر ارتفاعه ثمانية أذرع، وعرضه ذراعان ونصف داخل طاق، وباب في الجانب الغربي له طاق أيضًا، وجدد سقف المسجد الشريف بخشب الساج وزينه، وبنى منارة أيضًا [ص٢١] وأتم عمارته بعد ثلاث سنوات، ولكن العمارة المذكورة ظهر عليها بعض التغير بعد وفاة الخليفة المذكور، والله أعلم.

وفي «الفاكهي» أنه بعد الخليفة المذكور حدث تغير في جدران المسجد

الشريف وأبوابه، وصارت غير متساوية، فمن هذه الحيثية قد حدثت الزيادة المذكورة، أما تسقيف المسجد الشريف بخشب الساج وتزيينه، وإصلاح العمودين اللذين سقطا، وإصلاح السقف المتصل بالمسجد الشريف، فهذه الإصلاحات المذكورة كانت قد حدثت بعد ثلاثمائة سنة، والله أعلم.

وبعد ذلك في سنة ست وثلاثمائة، في دولة «المقتدر بالله»، أضيفت إلى مساحة المسجد الحرام قطعة أرض كان عليها منزلان للسيدة زبيدة أم أمير المؤمنين، وكان طول هذه القطعة من باب إبراهيم إلى جدار المسجد سبعة وخمسين ذراعًا إلا سدس ذراع، وعرضها من الجانب الشامي إلى الجانب اليماني اثنان وخمسون ذراعًا وربع، والله أعلم.

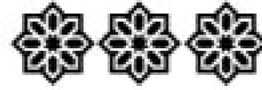
وبعد ذلك في يوم النحر العاشر من شهر ذي الحجة سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، دخل سنبر القرمطي المسجد الحرام وأمير مكة حاضر، وقام سنبر المذكور بفأس في يده، فأخرج الطوق الفضي للحجر الأسود، ثم قلع الحجر الأسود، وأخذ القرامطة الحجر الأسود إلى ديارهم في الشرق، ومكث عندهم اثنان وعشرون عامًا إلا أربعة أيام، ثم أرجعوه في مكانه من البيت الحرام، وقيل أن الذي ثبته في مكانه «حسن بن مرزوق». هذه الرواية.

وفي رواية أخرى أن سنبر المذكور هو الذي أعاد الحجر الأسود إلى مكانه وقال: أخذناه بقدرة الله وأعدناه بمشيئة الله، وقد أخذناه بأمر وأعدناه بأمر. وكان محمد بن نافع الخزاعي حاضرًا، وتأمل الحجر فرأى رأس الحجر أسود وسائره أبيض. وقصة القرامطة مفصلة في كتب التواريخ، فيها أمور قبيحة [ص٢٢] من

قتل المسلمين والغارة عليهم ونهبهم، ومنع الحج، إلى غير ذلك من القبائح، نعوذ بالله منها، والله أعلم.

وبعد ذلك خاف حجبة البيت الشريف على الحجر الأسود من يد خائنة تقلعه ثانيًا، فوضعوه داخل البيت الشريف لحفظه مدة، ثم رأوا ضرورة وضعه في مكانه، فأحضروا اثنين من أهل الصنعة فثبتوه في مكانه، وعملوا له طوقًا من الفضة وزنه ثلاثمائة وسبعة وثلاثين درهما، وبقى الحال على ذلك، والله أعلم.

وبعد ذلك في سنة إحدى وثلاثين وستمائة أمر المنتصر بالله العباسي بعمارة وترميم المطاف الشريف، والله سبحانه وتعالى أعلم.



الباب السادس

ترميم دولة الجراكسة للمسجد الحرام

ومن جملة بيان تلك الترميمات، أنه في دولة «الناصر فرج بن برقـوق»، حـدث في ليلة السبت الثامن والعشرين من شهر شوال المبارك من سنة اثنتين وثمانمائـة، أن اشتعلت النار في الجانب الغربي من المسجد الحرام عند باب الحزورة، الـذي كان يلاصقه رباط مأهول، وفي إحدى حجرات الرباط سقطت فتيلة مشتعلة بسبب فأرة فاحترقت الحجرة، وامتدت النـار إلى سـقفها فـاحترق، ثـم امتـدت النـار إلى سقف رواق المسجد الحرام من نافذة تلـك الحجـرة وسـقفها، واسـتمر اشـتعال لهيب النار مدة، وهو يمتد في سقف أروقة الجانب الغربي مـن المسـجد الحـرام، حتى وصلت النار إلى الجانب الشامي وامتد إلى بـاب العجلـة. وفي نفـس الوقـت تذكر كتابة مسجلة على إسطوانتين أنه في اليوم الثامن من شـهر جمـادي الأولى مـن تلك السنة، جاء سيل عظيم فهدم سقوف الأروقة والعقود المحترقة.

وبعد ذلك بمدة يسيرة قام الأمير «بيسق الظاهري» لتعمير المسجد الشـريف، فقدم مكة المكرمة في سنة ثلاث وثمانمائة، وكـان أميـر الحـاج المصـري بمكـة، وبعد أداء الحج تخلف أمير الحج والأمير بيسق لتعمير المسجد الحـرام، فتمـت إزالة ما تخلف من الحريق، وحفر الجانب الغربي حتى ظهرت أساساته، وشرع في تعميرهما بإحكام [ص٢٣] وأحضرت الأحجـار مـن الجبـال، ونُحتـت ونُقـر فيهـا

دوائر لصب الرصاص فيها، وهي وسيلة إلصاق الأحجار ببعضها في بناء جدران المسجد الحرام بإحكام. وبقى جزء في الجانب الشامي عند باب العجلة، تم رصفها مؤقتًا بحجر الرخام الأبيض. وانتهت تلك العمارة في أواخر شهر شعبان المبارك سنة أربع وثمانمائة، ما عدا سقف المسجد لعدم وجود الأخشاب المناسبة.

وبعد ذلك أحضر الأمير المذكور الأخشاب من مصر، في أوائل سنة سبع وثمانمائة، لإكمال بناء سقف المسجد الشريف. وقد أحضر الأمير المذكور الأخشاب المناسبة، وتم تسقيف الجانب الغربي بأكمله، ثم أكمل بناء السقف في الجانب الشامي جهة باب العجلة بهمة عالية، وتم تعليق سلاسل الحديد والنحاس لتعليق القناديل في المسجد الأعظم المحترم. وتم عمل طبطاب بالنورة في سطح المسجد الشريف، وتم رصف صحن المسجد الشريف ومقامات المذاهب الأربعة. وكان أهالي مكة المكرمة يدعون للأمير بيسق المذكور لإخلاصه وسرعته في التعمير والترميم والبناء جزاه الله تعالى خيرًا.

وفي زمن الأمير المذكور قام ببناء وتجديد عقد كمرة المروة المتهدمة، وذلك في سنة إحدى عشر وثمانمائة.

وفي سنة خمس عشرة وثمانمائة [ص٢٤] تم تعمير سقف الركن اليماني في المسجد الشريف.

وفي سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة انهدم مقام المؤذنين الكائن فوق زمزم، فتم بناؤه بالحجر.

وفي سنة أربعة وعشرين وثمانمائة، في أواسط شهر رمضان، تم ترميم سطح

الكعبة المعظمة؛ بعد ظهور تشققات بالقرب من درج الكعبة الداخلي وتسرب مياه الأمطار، فيحدث الضرر داخل الكعبة الشريفة، والله أعلم.

وفي أوائل دولة السلطان «برسباي الجركسي»، سنة خمس وعشرين وثمانمائة، أرسل الأمير «مقبل القديدي» إلى المسجد الحرام للإشراف على ترميم بعض الأماكن المتخربة منه؛ فقام الأمير المذكور بتجديد وتغيير بعض أخشاب سقوف المسجد الحرام، وتجديد سطح الكعبة الشريفة، وعلق الكسوة الداخلية للكعبة الشريفة، وكبس أرضية الكعبة بالحديد وأتم أعماله بإحكام، والله أعلم.

وفي سنة ست وعشرين وثمانمائة أرسل الأشرف برسباي الأمير مقبل المذكور لرصف أرضية الكعبة المعظمة بألواح الرخام المرمر، وترميم جدران الكعبة الداخلية، فأتمه على أحسن وجه، وكتب اسم السلطان الأشرف برسباي على لوح من الرخام وحلاه وزينه بالذهب وألصقه في جدار الكعبة من الداخل. وأمر الأمير المذكور في التاريخ المذكور بكسوة أرضية الحطيم وجدرانه من الداخل والخارج بألواح الرخام المرمر، وعمر ورمم باب الجنائز، ورمم أبواب المسجد الشريف المعروفة، ورمم المنطقة الواقعة بين باب على وباب الأفضل، في التاريخ المذكور.

وفي التاريخ المذكور أيضًا قام الأمير مقبل بتجديد دكة المقام الحنفي المنسوبة إلى «أبو السعود ابن ظهيرة» في الجانب الشامي من المسجد الشريف، وجدد باب العجلة، وجدد قبوات المسجد الشريف عند باب العباس، وقبوات باب الصفا [ص٢٥] وباب الزيادة، وباب الركن الغربي، ورمم بقية غالب أبواب

المسجد، وأصلح السقوف التي تتسرب منها مياه الأمطار، والله أعلم.

وبعد ذلك، في سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة، في دولة «الظاهر جقمق»، تم قلع رخام أرضية الكعبة الشريفة، وتبديله بوضع برخام أقوى وأضبط. كما تم ترميم أخشاب السقف، وتغيير الحبال الحاملة لستائر كسوة الكعبة الداخلية، وبعد يومين تم وضع الكسوة الخارجية الجديدة للكعبة الشريفة بعد ترميم جدرانها.

وفي التاريخ المذكور أيضًا تم ترميم الحطيم من الداخل، وترميم منارة باب السلام، ومنارة باب العمرة، ومنارة باب الحزورة، والمنارة القريبة من باب علي من الجانبين، وترميم وإصلاح الرفرف المحيط بالمسجد الشريف، وترميم مقام إبراهيم، وسقف المقام الحنفي وجانبيه، وقبة باب إبراهيم، والمسعى من الجهة المتصلة بدار العباس، والبازان القريب من المسجد والله أعلم.

وبعد ذلك قام الأمير «سودون» بتعمير الأماكن المأثورة في مشعر منى، وعمر مسجد نمرة، وعمر المشعر الحرام، وقطع الأشجار التي بين المأزمين، والأشجار التي في طريق عرفات، وأزال الحجارة والصخور الكبيرة التي كان يتضرر منها الحجاج، فنال دعاء الحجاج بعد رفع هذا الضرر، والله أعلم.

وبعد ذلك، في سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة، قام الخواجة «بيرم» ناظر الحرم الشريف بتجديد جدران الجانب الشرقي من المسجد الشريف، وتجديد جزء من مدرسة قايتباي، ورواق الجانب الشامي [ص٢٦] بالمسجد الشريف. وتعمير منارة مسجد الخيف. وصرف على تلك العمائر والترميمات أموالًا عظيمة، والله

أعلم.

وبعد ذلك، في سنة أربعين وخمسين وثمانمائة، قام الأمير «برد بك» بتكليف ناظر الحرم الشريف بترميم بعض الأماكن من سقوف المسجد الشريف.

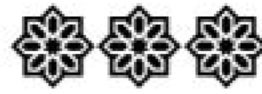
وبعد ذلك، في سنة أربعة وسبعين وثمانمائة، في دولة الأشرف قايتباي، الذي بنى مسجد الخيف بناية عظيمة، وجعل في وسطه قبة في مكان حد مسجد رسول الله ﷺ، وأحاط مسجد الخيف بمنى من جوانبه بالجدران، وبنى في جدار القبلة أربعة بوائك، وقبة تعلو محراب حضرة رسول الله ﷺ، وقبة ملاصقة لمنارة المسجد التي بناها، وبنى منارة عند باب المسجد، وقبو متصل ببناء مسكن ينزل فيه أمراء الحج، والمسكن المذكور يشرف على سبيل، وبنى في صحن المسجد صهريجًا يمتلئ من مياه الأمطار والسيول الآتية من الجبال في زمن الأمطار. وبنى في عرفات قبة صغيرة وقبة في جانب الجبل في غار المرسلات بمنى.

كما قام السلطان قايتباي ببناء مسجد نمرة بعرفات بناية عظيمة، وبنى في صدر المسجد رواقان كبيران. وجدد العلمان المحددان لمشعر عرفات. وفي المزدلفة بنى مسجد المشعر الحرام الواقع على جبل قزح، وأصلح ورمم العين وبركة الماء التي يشرب منها وينتفع بها الخاص والعام، والله أعلم.

وفي سنة إحدى وثمانين وثمانمائة جدد السلطان قايتباي الرواق الشرقي من المسجد الشريف وجدد أخشابه، وغير رخام الحرم الشريف برخام جديد، وكذلك أحجار صحن المطاف، وترخيم جدران الحرم الشريف، جزاه الله تعالى خيرا.

ثم قام السلطان «قانصوه الغوري» بعمل بعض الأبنية، منها بناء بيت كبير

بالقرب من باب إبراهيم، وعلى جانبيه مسكنان لطيفان، أوقف أحدهما لينفق ريعه في وجوه الخير، ورمم رخام الحطيم. وبنى في بندر جدة قلعة وسورًا لجدة [ص٢٧] وفرغ من ذلك كله سنة سبع عشرة وتسعمائة، والله أعلم.



الباب السابع

بيان ترميم وتجديد المسجد الحرام الشريف في دولة آل عثمان

إن الخيرات والإحسان في جملتها كحقوق لأهالي مكة المكرمة من سلاطين آل عثمان مشهورة ومعروفة، وقد كانت منذ عهد السلطان «محمد خان بن السلطان بايزيد خان» عليهما الرحمة والرضوان، الذي أراد تجديد المقام الحنفي، وكلف الأمير «مصلح الدين» بذلك، فجمع العلماء لمشاورتهم، فعارضه البعض وأيده البعض، وتم الاتفاق على تجويز ذلك، فهدم الأمير مصلح الدين المقام الحنفي الذى بنى زمن الأمير «خوش كلدي»، وأعاد بنائه بناءً محكمًا، وجعل له قبة عالية.

كما أحدث السلطان محمد بن بايزيد الصرة الرومية العتيقة لأهالي الحرمين الشريفين، وجعلها تصرف من الخزينة العامرة للدولة، وسار على ذلك سلاطين الدولة بصرفها سنويًا. وقد تضاعفت الصرة الرومية في زمن السلطان «سليم خان» فاتح مصر أضعافًا مضاعفة عما كانت عليه زمن سلاطين الجراكسة، وكانت تعرف باسم «الذخيرة» وتصرف من خزينة مصر. ومازالت الصرة الرومية تصرف سنويًا لأهالي الحرمين الشريفين إلى يومنا هذا لنيل الثواب.

وأقول أنا –الحقير– عندما كنت أقوم بتبييض هذا التاريخ، في اليوم الثامن من شهر جمادي الأولى من سنة إحدى عشر وألف، في المدينة المنورة، وصلت صرة

سلطان الإسلام، وتم توزيعها على أهالي المدينة المنورة لنيل خير الدعاء.

وقد أوقف الأمير مصلح الدين المذكور ثلاثين قطعة ذهبية على اثنى عشر نفرًا لقراءة ما تيسر من القرآن الشريف، تصرف سنويًا، وتم تسجيلها في دفتر الصرة الرومية، وجاري صرفها.

وقد أوقفت أنا –الحقير– قراءة جزء من القرآن يوميًا بنفس المقدار.

ومن جانب الديار المصرية، أوقف السلطان محمد خان المذكور سبعة آلاف أردب من القمح على فقراء مكة المكرمة، وألفي أردب على فقراء المدينة المنورة، والله أعلم.

وبعد ذلك، في زمن السلطان «سليمان خان» عليه الرحمة والرضوان، زادت مبالغ الصرة الرومية لأهالي مكة المكرمة التي تصرف سنويًا [ص٢٨] فبلغت ثمانية عشر ألف قطعة ذهبية. واشترى السلطان سليمان خان عدة قرى في نواحي مصر لزراعة القمح، وأوقف ريعها على أهالي الحرمين الشريفين، ترسل إليهم سنويًا من المخازن الخاصة. كما أمر السلطان سليمان خان بإرسال مال جوالي مصر إلى أهالي مكة المكرمة سنويًا، وبلغت في زمنه ستة آلاف قطعة ذهبية، والله أعلم.

ومن أعظم خيرات السلطان سليمان خان، إجراء وإيصال ماء عين عرفة إلى مكة المكرمة. والسبب في ذلك أن عين حنين المعروفة يضعف ماؤها ويزيد بحسب هطول الأمطار، وقد انقطع ماؤها بسبب قلة الأمطار من ناحية، وتراكم الأتربة في مجاريها من ناحية أخرى، مما تسبب في ضيق وألم لأهالي مكة المكرمة

والمجاورين والحجاج. واستدعى عرض الأمر على المرحوم السلطان سليمان، فأمر بإصلاح عين حنين، وإجراء عين عرفة إلى مكة المكرمة، وعيّن الأمير «مصلح الدين» ناظرًا على ذلك. فقام بكل جد واجتهاد بإصلاح مجرى عين حنين، وبنى عدة برك عند عين عرفات، وسافر إلى الباب العالي لعرض رؤيته في إجراء الماء إلى مكة المكرمة، وأخذ الإذن في ما يرى، وعند عودته غرق في بندر السويس، رحمه الله.

وبعد ذلك، انقطعت عين حنين بسبب قلة الأمطار وتراكم الأتربة في مجرى العين، مما استدعى عرض الأمر ثانيًا على سلطان الإسلام، الذى التفت إلى وزرائه العظام لأخذ المشورة، واستقر الرأي على إجراء وإيصال ماء عين عرفة الوفير والقوى إلى مكة المكرمة، وتم تخمين المبالغ اللازمة لذلك بثلاثين ألف قطعة ذهبية.

وصدر جواب وأمر الباب العالي سنة تسع وستين وتسعمائة، والتمست كريمة السلطان سليمان خان القيام بهذه المبرة تأسيًا بالسيدة «زبيدة» العباسية، فأذن السلطان سليمان بذلك، وتشاور مع وزيره الأعظم لإنفاذ هذه الخدمة، وأرسل بمقتضاه إلى «إبراهيم بك بن تغري ويردي» دفتر دار مصر [ص٢٩] لعمل هذه الخدمة، فأرسل إبراهيم بك بأن إجراء عين عرفة إلى مكة المكرمة يحتاج إلى خمسين ألف قطعة ذهبية.

وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة تسع وستين وتسعمائة، تم النظر في كيفية زيادة المياه، وبعد ذلك تم التوجه إلى الجانب الأعلى من

عرفات، والنظر بتأمل في نواحي عين عرفات لتحديد مسار مجرى الماء. وتقرر بدء العمل بكل جد وجهد، وتخمين الاحتياج إلى عدد أربعة آلاف عامل، وينجز العمل خلال عام واحد. وبالجملة تقرر ترك مجرى السيدة زبيدة، مع إمكانية وصله في بعض المواضع، وتحديد مجرى الماء في أطراف الجبال، ومن المعلوم أن طول مجرى عين حنين يبلغ ألفي ذراع، وبلغ طول المجرى الجديد ألف وخمسمائة ذراع. وبهمة عالية تم تكسير مسار المجرى الجديد في أطراف الجبال. كما تقرر إرسال المبالغ اللازمة على خمس دفعات، ليبلغ إجمالي المصاريف مائة ألف قطعة ذهبية لإنجاز هذا العمل.

وفي يوم الاثنين ليلة الثاني من شهر رجب المبارك من سنة أربع وسبعين وتسعمائة، رحلت للمشاركة في هذه الخدمة، وبعدها قام «قاسم بك» أمير جدة بالتوجه إلى مكة المكرمة وأقام عند شريف مكة. ووصل الخبر بوفاة السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان، وجلوس ابنه السلطان «سليم خان»، الذي عين دفتر دار مصر «محمد بك أكمكجي» ناظرًا على إكمال إنشاء مجرى العين الجديد، فوصل إلى مكة المكرمة وشارك في هذه الخدمة الشاقة بنفسه وماله بكل جد واجتهاد، وتوفي في آخر شهر جماد الأول سنة ست وسبعين وتسعمائة، ودفن في المعلاة.

وبعد ذلك تقدم قاسم بك أمير جدة إلى شريف مكة للإذن في تولي خدمة مجرى الماء الجديد، فعرض شريف مكة طلبه على الباب العالي، ووصل الجواب بالقبول، وباشر قاسم بك الخدمة بكل جد واهتمام، حتى وافاه الأجل في أول شهر رجب المبارك سنة تسع وسبعين وتسعمائة.

وبعد ذلك اقترح شريف مكة تعيين شيخ الحرم المكي القاضي «حسين بن أبي بكر الحسيني» ناظرًا على إنشاء المجرى الجديد، وعرض اقتراحه على الباب العالي [ص٣٠] ووصل الجواب بالقبول مع بذل الهمة.

وبعد خمسة شهور، وبالتحديد في اليوم العشرين من شهر ذي القعدة سنة تسع وسبعين وتسعمائة، وصلت عين عرفات إلى داخل مكة المكرمة، ووصل الخبر إلى الباب العالي، وقامت بلقيس زمانها السلطانة كريمة السلطان سليمان، بإرسال أنواع من الإحسانات لإنجاز هذا العمل العظيم، وسجلت في صحائف أعمالها، والله أعلم.

ومن الآثار الحميدة للسلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان، إنشاؤه المدارس الأربعة للمذاهب الأربعة، في الجانب الجنوبي من المسجد الحرام الشريف. وباشر هذا العمل قاسم بك أمير جدة. وبدأ الشروع في العمل في اليوم الثاني من شهر رجب سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة، بتمهيد الأرض واستبدال البيوت الموقوفة، وبدء البناء في غاية الإحكام، وتم إنشاء منارة للمدارس الأربعة المذكورة.

وأكمل السلطان سليم خان بن السلطان سليمان خان بناء مدارس والده الأربعة، وأمر بتوجيه غلال ريوع أوقاف الحرمين الشريفين في الشام للصرف على المدارس الأربعة، وعين إمام المقام الحنفي رئيسًا على المدارس، وفوضه في تعيين العلماء والقضاة المستحقين للتدريس بها، بعد التشاور مع علماء المذاهب الثلاثة، والله أعلم.

ومن الآثار المرضية للمرحوم السلطان سليم خان عليه الرحمة والرضوان، أنه بعد وفاة والده السلطان سليمان خان وجلوسه على كرسي السلطنة، تقدم إليه أهالي الحرمين الشريفين قائلين بأنه من المعلوم أن السلطان سليمان خان قد خصص لأهالي مكة المكرمة ثلاثة آلاف أردب من القمح، وثلاثة آلاف أردب من المخازن الخاصة، فأصبحت ستة آلاف أردب ثم زادهم خمسمائة أردب لبندر جدة لأجل المنقطعين من الفقراء والحجاج، ولكن الخمسمائة أردب لم تصل، فحدث نزاع بين قاضي مكة وشيخ الحرم المكي الشريف، لأن بعض المستحقين من أهالي مكة أصبحوا محرومين [ص٣١] وفي نفس الوقت أن الفقراء والمنقطعين والضعفاء في بندر جدة ما زالوا منتفعين مما خصص لأهالي مكة المكرمة، وبموجب أن (الدال على الخير كفاعله)، الأمل من جناب السلطان إعادة صرف الخمسمائة أردب من القمح. فأمر السلطان سليم خان بتخصيص ثمانمائة قطعة ذهبية ترسل إلى أهالي مكة المكرمة سنويًا، وما زالت ترسل إلى يومنا هذا.

ومن الآثار المرضية للسلطان سليم خان، أنه في أيام دولته تم تجديد المسجد الحرام. وسبب هذا التجديد، ظهور ميلان في سقف الجدار الشرقي للمسجد الحرام، وبروز أخشابه عن موضعها، مما تسبب في اختلال في مبنى مدرسة السلطان قايتباي الملاصقة لجدار المسجد الحرام، والموقوفة على عباد الله، واختلال بيتين ملاصقين يحفان بالمدرسة. كما سبق وأن ظهر الخلل في سقفين من سقوف المسجد الحرام، فقام بعض نظّار الحرم الشريف بتبديل بعض تلك الأخشاب البارزة، وحاولوا الإصلاح ولكنهم عجزوا عن ذلك. فعرضوا

الموضوع على الباب العالي؛ فصدر الأمر السلطاني سنة تسع وسبعين وتسعمائة بتجديد سقف المسجد الحرام وقبابه بكل جد واجتهاد، كما صدر الأمر أيضًا إلى باشا مصر باختيار الرجل المناسب لتنفيذ هذه المهمة، وبوصول الأمر إلى مصر، كلف باشا مصر أمير الأمراء الذي اختار الأمير «أحمد بك» وكلفه بالسفر إلى جدة والتعاون مع أمير جدة بتجديد ما تخرب من مبنى المسجد الحرام، فلقي هذا الأمر الرضى من أهالي مكة المكرمة.

وفي منتصف شهر ربيع الأول من سنة تسع وسبعين وتسعمائة، بدأ الهدم من جهة باب على حتى تم الوصول إلى سطح الأرض، وفي شهر ذي الحجة من نفس السنة تم هدم المسافة الباقية بين باب على وباب السلام في الجانب الشرقي حتى تم الوصول إلى سطح الأرض. وبعد ذلك تم الحفر للكشف على الأساسات، وتبين اختلالها وضرورة نقضها وبنائها بناءً محكمًا.

وفي اليوم السادس من شهر جماد الأول سنة ثمانين وتسعمائة بدأ الشروع في بناء الأساسات بحضور الخاص والعام والأكابر والأعيان والعلماء العظام لأجل الدعاء لسلطان الإسلام. وبعد ذلك تم التسقيف بالقباب الحسنة. وقد أدى أحمد بك وسائر [ص٣٢] العاملين معه هذه الخدمة بكل جد واجتهاد، وتم تجديد الجانب الشرقي، وإكمال ترميم الجانب الشمالي من المسجد الحرام، في نفس السنة التي توفي فيها المرحوم السلطان سليم خان، في اليوم السابع من شهر رمضان المبارك سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة، رحمه الله وطيّب ثراه وأحسن في الآخرة مثواه.

وبعد ذلك جلس «السلطان مراد خان بن السلطان سليم خان» على عرش السلطنة، تغمده الله تعالى بالرحمة والرضوان. ومن آثاره الحميدة المرضية، أنه التفت إلى تكميل وتجديد الحرم المحترم، فأصدر أمرًا بتجديد الجانبين الغربي والشمالي، وأنه عازم وجازم على ذلك، وكلف بذلك أحمد بك أمير جدة، وأوصاه بالجد والاجتهاد، وتسجيل أعمال التجديد يوميًا كما ينبغي.

وتم الانتهاء من هذا التجديد للمسجد الحرام أواخر سنة أربع وثمانين وتسعمائة. ورغب السلطان مراد خان التأسي بالخلفاء العباسيين والجراكسة بتحلية المسجد الحرام بالجواهر القيّمة وتزيينه بالكتابات التي تؤرخ لهذا التجديد وطلائها بالذهب، فأصدر أمره من الباب العالي بذلك، ومضمونه وجوب كتابة تاريخ لهذا التجديد للمسجد الحرام من النظم والنثر، ونقشه على الحجر، وطلائه بالذهب، ووضعه في الإطار الزخرفي تحت القباب بين باب علي وباب العباس في واجهة الجانب الشرقي من المسجد الحرام. ووصل الأمر السلطاني إلى مكة المكرمة؛ فاجتمع العلماء منهم العربي والفارسي والتركي، وأبلغهم أحمد بك بالأمر السلطاني الواجب الامتثال، فقرأوا التاريخ الوارد من الباب العالي نثرًا ونظمًا، التالي ذكره وهو: «الحمد لله الذي أسس بنيان الدين المتين بنبي الرحمة والرشاد، وخصصه بمزيد الفضل والكرامة والإسعاد، وجعل حرم مكة مطافًا لطواف الطائفين الحاجّين من أقاصي الممالك والبلاد، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأجلة الأمجاد، ووفق عبده المعتاد، بأحكام الشريعة وتشييد أركانها على الوجه المراد، المدّخر ذُخر الآخرة المستزيد من زاد المعاد، ظله الممدود

على مفارق العباد، السلطان بن السلطان بن السلطان مراد خان جعل الله الخلافة فيه وفي عقبه إلى يوم التناد، لتجديد معالم المسجد الحرام وحرمه الذي سواء العاكف فيه والباد، فعمّ في فاتحة سلطنته العظمى لازال للحرمين المحترمين خادمًا، ولأساس الجور والاعتساف صادمًا [ص٣٣](١)، تجديد حرم بيت الله ﷻ، بأمر العزيز المبجل، وعمّر عامر جُوده ما تضعضع من أركانه، بعد ما انتفض عالي جدرانه، فجدد جدران حرم البيت العتيق، وسوّره بأكمل زينة وأجمل صورة بعد ما أبلاه الجديدان، وأكل عيدان سقفها الأرضة والديدان، فرقع القباب موضع السطوح المبنية بالأخشاب، وابتهج بهذه الحسنة الكبرى كل شيخ وشاب، فأذعنوا له بالشرف الباهر والمجد الفاخر، تالين قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾(٢) وداعين من الله الجزيل والذخر الذاخر، قائلين اللهم أدمه في سرير الخلافة، محروسًا بحفظك من كل آفة، وظاهرًا على من يريد خلافه، مشيدًا للمجالس والمدارس، مجددًا لكل خير منهدم ودارس، واجعل بابه للراجين حرمًا آمنًا، وجنابه للمحتاجين كفيلًا ضامنًا، يأتون إليه من كل فج عميق، بحرمة البيت العتيق، تقبّل الله معطي السؤال، بجاه الرسول، هذا الدعاء الحري بالقبول، فلما أسس بنيانه على تقوى الله ورضوان، جاء مشيد الأركان، حاكيًا روضات الجنان، وصار هذا عنوان خلافته، وبراعة استهلال نشور سعادته.

---

(١) خطأ في ترقيم الصفحات في أصل المخطوطة

(٢) سورة التوبة، من الآية ١٨

في أوائل سنة أربع وثمانين وتسعمائة من الهجرة، وكان الابتداء بذلك التجديد بأمر والده الماجد الدارج إلى مدارج المجيد السلطان السعيد، ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩ ﴾(١)، السلطان سليم بن السلطان سليمان بن السلطان بايزيد بن السلطان محمد بن السلطان مراد بن السلطان أورخان بن السلطان عثمان، سكّنهم الله تعالى على سُرُر في الجنان، وأبّد خلافتهم في مسند الخلافة إلى انقراض الزمان.

وكان الشروع في الرابع عشر من ربيع الأول من شهور سنة ثمانين وتسعمائة، فلمّا سلّم السلطان سليم وديعته بأحسن تسليم، وارتحل من دار القصور إلى ما هيأه الله له في الجنة من قصور، قبل تمام ما رام من تجديد المسجد الحرام، وأجلس على سرير الخلافة نجله النجيب أحسن إجلاس، وجعل حرمه مثابة للناس، يسّر له الإتمام، بطلعة إقبال الوجوه والأيام، وأنام الأنام في مهد عدله إلى يوم الساعة وساعة القيام، ونظم راقم هذه الأرقام، تاريخًا يليق أن يكتب في هذا المقام، وهو هذا:

جدد السلطان مراد بن سليم ... مسجد البيت العتيق المحترم

سُرَ منه المسلمون كلهم ... دام منصور اللواء والعَلَمَ

قال روح القدس في تأريخه ... عمّر السلطان مُراد العَلَم

[ص٣٤] ومن آثاره الحميدة، أنه عندما هجم سيل عظيم على مكة المكرمة

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان ٨٨-٨٩

سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة، وانسد مجرى السيل الكائن في الجهة الجنوبية من المسجد الحرام، بالأتربة والحجارة، فدخلت مياه السيل إلى داخل المسجد الحرام، حتى بلغ باب الكعبة، فصدر أمر السلطان مراد بتنظيف مجرى السيل المذكور، وبناء سواند حوله على سطح الأرض، لتحول من دخول السيل إلى داخل المسجد الحرام، وترميم ما تخرب من المسجد الشريف، جزاه الله تعالى خير الجزاء.

وقد قام صاحب هذا التاريخ بالمشاركة في تنظيف مجرى السيل بجمع الأتربة وإخراجها، رجاءً من الحق تعالى أن يعطيه الأجر الجزيل والعمر الطويل. وعلمت أن جملة ما صرف في أعمال البناء والترميم عشرة آلاف قطعة ذهبية، غير لوازم البناء والترميم التي أرسلت من مصر، والله أعلم.

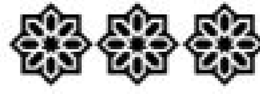
ومن آثاره الحميدة أيضًا، أنه عند ابتداء جلوسه في السلطنة، أرسل أهالي مكة المكرمة طلب زيادة حب القمح الذي يرسل إليهم سنويًا، فأمر السلطان بزيادة ثلاثة آلاف أردب من القمح، فأصبح مجموع ما يرسل إليهم من القمح تسعة آلاف أردب؛ ثلاثة آلاف من مخصصات والده، وثلاثة آلاف من المخازن الخاصة بمصر بأمر والده، وثلاثة آلاف أردب من السلطان مراد المذكور.

ومن آثاره المرضية، أنه أمر بترميم البيوت والأربطة الكائنة عند باب الحزورة خارج الجانب الجنوبي من الحرم الشريف، وبناء ما تهدم منها إثر السيل السالف الذكر، مما تسبب في مضايقة الساكنين، وتصاعد الروائح الكريهة التي تصل إلى المسجد الشريف. وبنى صُفّة لينزل فيها الفقراء.

وفي سنة خمس وتسعين وتسعمائة، أمر ببناء سبيل على يسار خارج باب الصفا، وتحته ميضأة ومراحيض، وبناء مراحيض عند باب السلام الصغير، بالقرب من مدرسة قايتباي، وبناء سوق ملاصق لجدار المدرسة. وقد صرف على هذه الخيرات عشرون ألف قطعة ذهبية، والله أعلم. ونقش على السبيل كتابة تأسيسية نصها شعرًا:

أنا سبيل أشاد مجدي ... سلطان كل الورى مراد
فاق على قيصر وكسرى ... بعدله فقرّت البلاد
مدّ على الخلق فيض بِرٍ ... فعاش من فضله العباد
[ص٣٥] بنى بباب الصفا سبيلا ... للوفد ورده أرشاد
صار به للإله جارًا ... وجاره الدهر لا يكاد
له من الله سلسبيل ... وكوثر ما له نفاد
جاء بلا غاية لمجد ... تاريخ بنيانه المشاد
اسّسني بالصفا سبيلا ... لله سلطاننا مراد

ومن آثاره المرضية أيضًا، زيادة خمسة آلاف أردب من القمح، ترسل سنويًا من المخازن الخاصة ترسل جراية للأمراء والكبراء والفقهاء وخدام الحرم المحترم، وتسجل بموجبه في الدفتر. وأحدث الكثير من الخيرات لأهل الفتوى والتدريس في المسجد الحرام، منها زيادة تخصيص ثلاثة آلاف قطعة ذهبية، وتسجل في دفتر الرومية الجديدة المعروفة، ضمن دفتر الصرة الخاص بأهالي مكة المكرمة، تقبل الله منه، والله أعلم.

ومن جملة خيراته، أنه في سنة احدى بعد الألف، أمر بتغيير الأخشاب القديمـة لسقف مقام إبراهيم  ، وما يحتاجه مبنى المقام، وتبديلها بخشـب الساج المزين المكلف، والله أعلم بالصواب.

[ص٣٦ فارغة]

❁❁❁

الباب الثامن

بيان ما يتعلق بمنائر وقباب وأبواب وأعمدة المسجد الحرام

[ص٣٧] أما الأعمدة فعددها في الجانب الشرقي من المسجد الشريف مائتان وسبعة وأربعين عمودًا من المرمر، منها مقابل الحجر وباب الكعبة واحد وثمانون عمودًا. وفي الجانب الغربي أربعة وستون عمودًا. وفي الجانب الشامي مع مدخلي الحطيم واحد وثمانون عمودًا، وفي زيادة دار الندوة خمسة عشر عمودًا، وزيادة باب إبراهيم ستة أعمدة من المرمر. وفي الجانب الجنوبي ستة وسبعون عمودًا؛ فيكون جملة مجموع الأعمدة في المسجد الحرام أربعمائة وسبعة وثمانون عمودًا، والله أعلم.

وأما القباب فعددها في الجانب الشرقي أربعة وعشرون قبة، وفي الجانب الشامي ستة وثلاثون قبة، وفي الجانب الغربي أربعة وعشرون قبة، وفي الجانب الجنوبي ستة وثلاثون قبة، وقبة في ركن المسجد عند منارة باب الحزورة، وستة عشر قبة في زيادة دار الندوة، وفي زيادة باب إبراهيم خمسة عشر قبة؛ فيكون جملة مجموع القباب في المسجد الحرام مائة واثنان وخمسون قبة.

وأما أبواب المسجد الشريف فعددها تسعة عشر بوابة، لها ثمانية وثلاثين طاقا، في كل طاقٍ باب له درفتان كبيرتان، وفي كل درفة باب صغير، أحدها للخروج والثاني للدخول.

في الجانب الشرقي أربعة بوابات: أولها باب السلام وباب بني شيبة، ولهما ثلاث طاقات جددت في غاية الاستحكام، الباب الأول على جانب الطاق الأيمن باب له درفة فيها صغيران أحدها مغلق والثاني مفتوح، والباب الثاني له طاق فيه باب الجنائز، وباب النبي ﷺ، وهذا الباب تم تجديده، والباب الثالث له طاق وهو باب العباس يقابل منزل حضرة العباس، الباب الرابع باب على وله ثلاث طاقات، وفيه باب بني هاشم وقد تم تجديدها كلها مؤخرًا.

وفي الجانب الجنوبي سبعة بوابات: أولها بوابة بازان القريبة من البئر، وهذه البوابة تم تجديدها. البوابة الثانية وفيها باب البغلة – بباء موحدة وغين معجمة – ولها طاقان تم تجديدها. البوابة الثالثة [ص٣٨] وفيها باب الصفا المفضي إلى الصفا ويعرف بباب بني مخزوم وله خمس طاقات تم تجديدها. البوابة الرابعة وفيها باب أجياد الصغير وله طاقان تم تجديدها. البوابة الخامسة وفيها باب المجاهدية وفيه طاقان، وباب الرحمة وتم تجديدها. البوابة السادسة وفيها باب مدرسة الشريف عجلان، وهذه المدرسة تلاصق الباب وتم تجديدها. البوابة السابعة وفيها باب أم هانئ ولها طاقان وتم تجديدها.

وفي الجانب الغربي ثلاثة بوابات: أولها بوابة الحزورة وفيها طاقان وتم تجديدها. البوابة الثانية وفيه باب إبراهيم وله طاق واحد كبير تم تجديده، وأمامه قصر الغوري تم تجديده في غاية الإحكام. البوابة الثالثة وفيها باب العمرة وله طاقان، طاق للدخول وطاق للخروج، وعرف قديمًا باسم باب بني سهم، وتم تجديده.

وفي الجانب الشمالي خمسة بوابات: أولها بوابة سره ولها طاق واحد وعرف قديما باسم باب عمرو بن العاص وتم تجديده. البوابة الثانية وفيها باب العجلة وله طاق واحد، وباب الباسطية نسبة إلى مدرسة عبدالله الباسط الملاصقة للباب وتم تجديده. البوابة الثالثة وفيها باب دار الندوة ولها طاق واحد، وفي ركن هذه الزيادة باب تم تجديده. البوابة الرابعة في زيادة دار الندوة أيضًا ولها طاق واحد، وكان قديمًا له طاقان، وقد قام قاسم بك ببناء المدارس السليمانية الأربعة في مواجهتها، وفتح فيها ثلاث طاقات. البوابة الخامسة وفيها باب الدريبة وفيه طاق واحد، وباب السليمانية وفيه طاق واحد وتم تجديدها، والله أعلم.

أما منائر المسجد الحرام الشريف:

فأولها: منارة باب السلام، وهى ملاصقة للمدرسة الشرابية.

وثانيها: منارة باب العمرة.

وثالثها: منارة باب علي التي بناها المهدي العباسي مع منارة باب السلام.

يقول صاحب هذا التاريخ أن السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان قد هدم منارة باب علي ومنارة باب السلام، وبناهما على دورين، وجعل لها جواسق هرمية على هيئة منائر الروم.

ورابعها: [ص٣٩] منارة الحزورة، بناها أولًا المهدي العباسي، ثم بناها شعبان بن حسين صاحب الموصل سنة اثنين وسبعين وسبعمائة، وتم بناء باقيها مؤخرًا كما سبق بيانه.

وخامسها: منارة باب الزيادة، وكانت قديمًا مبنية على دورين، ثم هدمت وبنيت مجددًا زمن دولة الاشرف برسباي سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة، ثم جددت مؤخرًا في هذا الزمان.

وسادسها: منارة المرحوم السلطان قايتباي، بناها مع مدرسته فوق كمر باب المدرسة في غاية الإحكام، وهي تشبه في شكلها منارة مسجد الخيف تمامًا.

وسابعها: منارة المرحوم السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان، بناها قاسم بك أمير جدة مع بناء المدارس السليمانية الأربعة سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة.

والمنائر من باب السلام إلى باب الزيادة في غاية الارتفاع، ولها ثلاثة أدوار، وأساساتها في غاية الإحكام، والله أعلم.

وعلى يمين الصاعد من المسجد الحرام إلى أعلى مكة يقع مسجد الراية. روي أن النبي ﷺ غرز رايته في موضع المسجد يوم فتح مكة المكرمة، ولهذا المسجد منارة عالية قديمة لها دورين، يقول صاحب هذا التاريخ أني لا أعلم متى بني هذا المسجد وهذه المنارة، ورأيت أهل الخير يوقدون القناديل ويعلقونها في منارة مسجد الراية في ليالي شهر رمضان؛ كعلامة وإعلام على دخول وقت الفجر الصادق، وتطفأ كافة قناديل المنائر الأخرى، والله أعلم.

ويقول صاحب هذا التاريخ، أنه كانت في طرق وجبال مكة المكرمة حوالي خمسين منارة يرفع منها الأذان في الأوقات الخمسة، ولكنها محيت كلها ولم يبق لها أثر، وسبحان الباقي الدايم.

أما بيان ذرع الكعبة المعظمة -زادها الله تشريفًا وتعظيمًا- يعني طولها من الحجر الأسود إلى الركن الشامي [ص٤٠] واحد وعشرون ذراعًا. ومن الركن الشامي إلى الركن العراقي سبعة عشر ذراعًا وثلثا ذراع. ومن الركن العراقي إلى الركن اليماني ثمانية عشر ذراعًا إلا ثلث ذراع. ومن الركن اليماني إلى الحجر الأسود اثنان وعشرون ذراعًا إلا ثلث ذراع. وذرع الحطيم ثمانية عشر ذراعًا. وهذا الحساب من الخارج دون الشاذروان.

وارتفاع البيت الشريف من الأرض إلى أعلاه سبعة وعشرون ذراعًا. وارتفاع الباب من الأرض أربعة أذرع إلا ثلث ذراع. وارتفاع الحجر الأسود من الأرض ذراعان وربع. وارتفاع الحجر اليماني ثلاثة أذرع إلا ثلث ذراع، والله أعلم.

وأما ذرع الكعبة المشرفة من الداخل، في داخل الكعبة ثلاثة دعامات من الخشب؛ بين الدعامة الأولى والجدار اليماني أربعة أذرع. وبين كل دعامة ودعامة أربعة أذرع. وبين الدعامة الثالثة والجدار الشامي ذراعان إلا قيراطين. وبين الجدار الشرقي ووجه الدعامات خمسة أذرع إلا قراطين. وبين الدعامات والجدار الغربي ستة أذرع ونصف.

وعرض الجدار الجنوبي عشرة أذرع إلا ثلث. وعرض الجدار الغربي الذي فيه الباب المسدود ثمانية عشر ذراعًا. وعرض الجدار الشامي عشرة أذرع إلا قيراط. وعرض الجدار الشرقي الذي فيه الباب ثمانية عشر ذراعًا. وفي الركن الواقع على يمين الداخل باب صغير يصعد منه إلى سطح الكعبة وله درج من خشب. وأرضية وسطح الكعبة المشرفة مرصوفة بالمرمر.

وأما الحطيم فله ممران مفتوحان، سعة الممر الواحد أربعة أذرع وقيراطان. وبين جدار الكعبة وجدار الحطيم المقابل أربعة وعشرون ذراعًا وسدس. وارتفاع جدار الحطيم في وجهه الخارجي من الأرض ذراعان، وفي وجهه الداخلي ذراعان وقيراطان.

وعرض المطاف الشريف، من باب البيت الشريف إلى المقام واحد وعشرون ذراعًا إلا قيراط. [ص٤١] ومن حاشية المطاف إلى حاشية شباك المقام الحنبلي ثلاثة وعشرون ذراعًا. وسعة المقام الحنبلي بين جهتيه ثلاثة أذرع وثلث. وبقربه وضع منبر الخطيب وما بينهما سبعة أذرع إلا قيراطين.

وصنع المقام من الخشب. وداخله صندوق من خشب فيه حجر المقام الشريف. ومن جوانبه الأربعة شبابيك من الحديد، ويسقفه قبة لطيفة. وللمقام باب في شباكه الشرقي. ويغطي الصندوق الخشبي الذي فيه المقام الشريف كسوة يتم تغييرها في كل سنة.

وأمام باب المقام الشريف يقع مقام الشافعي، الذي يقوم على أربعة أعمدة يصلى فيه الصلوات الخمس. وبجوار المقام الشافعي يوضع درج البيت الشريف المصنوع من الخشب. وفي أعلى المقام الشافعي رفرف توضع عليه المشاعل ليلًا، بينه وبين أسطوانة المقام ثمانية عشر ذراعًا.

وعرض المطاف الشريف من جدار الحطيم إلى المقام الحنفي اثنان وعشرون ذراعًا. وعرض المطاف الشريف من جهة المستجار ثلاثون ذراعًا. وعرض المطاف الشريف من جهة الركن اليماني إلى منتهى المطاف ثمانية وعشرون ذراعًا.

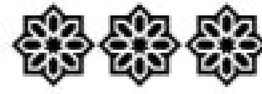
وحول المطاف واحد وثلاثون عمودًا من المرمر الأبـيض، ارتفـاع الواحـد منهـا الأرض ثلاثة أذرع، وبين كل عمودين سبعة قناديل معلقة. وجميـع أرض المطـاف وسائر المسجد الشريف مرصوفة بالحجر، قام بعمله «سنان باشا» بعد رجوعه من فتح اليمن وأدائه فريضة الحج، جزاه الله تعالى خيرًا.

وفي حاشية المطاف بين المقام الحنبلي وبـاب بئـر زمـزم المتصـل بـه سـبيل الخاصكي تسعة أذرع إلا قيراط. وفي صحن المسجد الشـريف أمـام بـاب البيـت الشريف بجوار باب زمزم مكان المؤذنين الرئيس، يعلوه قبة الشمع، يوضـع فيهـا كل مستلزمات الإضاءة من شمع وخلافه. [ص ٤٢] وبالقرب منها سقاية العباس وفيها ثلاثة أحواض كبيرة مملوءة بماء زمزم. وفـوق السـقاية قبـة صـغيرة، يقـوم القيم على المسجد الشريف بحفظ الزيت فيها ويستخدمه يوميًا، والله أعلم.

أما أبعاد المسجد الشريف من الداخل: من داخل باب السلام إلى داخل بـاب العمرة ثلاثمائة وواحد وخمسون ذراعًا. ومن داخل باب أم هـانئ إلى داخـل بـاب السدرة مائتان واثنان وعشرون ذراعًا. ومن داخل باب البغلة إلى جـدار المـدارس السليمانية مائتان واثنان وثلاثون ذراعًا وربع. وطـول زيـادة دار النـدوة مـن بـاب الزيادة إلى آخر الرواق ثمانية وخمسون ذراعًا إلا ثلث ذراع. ومسافة ما بـين جـدار المدارس السليمانية إلى منزل المرحوم ميرزا مخدوم خمسة وثمانون ذراعًا إلا ربع ذراع. وعرض حوض الرباط إلى جدار رباط ناظر الخاص ثلاثة وخمسـون ذراعـًا. وطول قصر الغوري من جداره إلى الرواق المتصل بالبترة أربعة وثلاثـون ذراعـًا، والله أعلم.

والمسافة بين البيت الشريف وأعمدة الجدار الشرقي سبعة وثمانون ذراعًا. وبين البيت الشريف وأعمدة الجدار الغربي مائة وتسعة عشر ذراعًا. وبين البيت الشريف وأعمدة الجدار الجنوبي ثلاثة وثمانون ذراعًا.

وذرع المقام من أول شباكه إلى آخر أعمدته عشرة أذرع إلا ربع ذراع. والمسافة بين زمزم وقبة الفراشين مرصوفة بالحجر. وأمام زمزم فسحة معروفة باسم فسحة زمزم، طولها ثمانية عشر ذراعًا ونصف ذراع، وعرضها أربعة عشر ذراعًا.



خاتمة

في هذه الخاتمة بيان ذكر الأماكن المباركة المأثورة، وعددها خمسة عشر مكانًا؛ يستجاب فيها الدعاء حسب رواية الحسن البصري، وزاد غيره من العلماء فأوصلها إلى ثلاثة وخمسون مكانًا، بعضها معلوم وبعضها مجهول، نذكرها على سبيل الاختصار:

- المطاف الشريف
- والملتزم، يعني ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة، وقد جرب صاحب هذا التاريخ ذلك وجربه غيري.
- وتحت ميزاب الكعبة الذهبي.
- وداخل الكعبة المعظمة.
- وعند بئر زمزم.
- وعند مقام إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .
- وفوق ربوة الصفا.
- وفوق ربوة المروة.
- وفي المسعى.
- وفي عرفات.
- وعند منارة مسجد نمرة.

– وعند باب بني شيبة.

– وعند باب الصفا.

– وعند باب السلام.

– وعند جبل ثبير.

– وعند مسجد الكبش.

– وعند مسجد الخيف.

– وعند مسجد النحر، وهو موجود حاليًا في منى ولكنه مشرف على الخراب.

– وفي غار المرسلات، على يمين الصاعد إلى عرفات، وله سقف، وفيه صخرة مجوفة ورد عن العوام أن الرسول الأكرم وضع رأسه الشريف على صخرة فيه فتجوفت، وصاحب هذا التاريخ وضع رأسه تيمنًا بذلك، ولم أجد خبرًا معتمدًا يدل على صحة هذا الخبر، والله أعلم.

– ومنزل أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها الشريف في مكة المكرمة ومولد السيدة فاطمة رضي الله عنها، وهو المنزل الذي ولدت فيه حضرة السيدة خديجة أولاد رسول الله ﷺ، والذي تزوجت فيه برسول الله ﷺ، وفيه توفيت وخرجت منه، ودفنها حضرة سيدنا رسول الله ﷺ في المعلاة، ثم سكنه عليه وآله الصلاة والسلام، وهاجر منه إلى المدينة المنورة، وبعد ذلك أخذه عقيل بن أبي طالب، ثم اشتراه معاوية بن أبي سفيان وبنى في موضعه مسجدًا يُصلى فيه، ثم آل إلى الخراب، ثم جدده المرحوم السلطان سليمان خان سنة خمس وثلاثين وتسعمائة، والله أعلم.

– وفي مولد النبي ﷺ يستجاب الدعاء، وهو مكان معروف في مكة المكرمة، في موضع يسمى شعب بني هاشم، يزوره أهالي مكة المكرمة في كل سنة، في الليلة الثانية من شهر ربيع الأول مع الفقهاء والأعيان وقاضي مكة المكرمة [ص٤٤] ويصلون صلاة المغرب. وبعد ذلك يجتمع كافة مشايخ العلم والأهالي في المولد النبوي إلى سوق الليل ويدعون للسلطان ويثنون عليه، ثم يعود الجميع إلى المسجد الحرام الشريف ويجلسون صفوفًا، ويقف القاضي والمؤذنون ويدعون لسلطان الإسلام ويثنون عليه، ويؤمن الحضور على دعائهم.

– وقال بعض العلماء أن الدعاء مستجاب في المولد النبوي مقيد بعد الزوال، والدعاء عند السيدة خديجة مقيد ليلة الجمعة، وأنا –الحقير– ليس لدي شك في ذلك.

وروى المحب الطبري أن أفضل موضع بعد المسجد الحرام هو مقام السيدة خديجة رضي الله عنها الشريف في مكة المكرمة، والله أعلم.

– وفي دار الخيزران يستجاب الدعاء، ويقع قرب الصفا، وعُرف قديمًا باسم دار الأرقم المخزومي، وبعد ذلك اشترته الخيزران والدة الرشيد العباسي فعرف بها.

– وفي المختبى يستجاب الدعاء، وفيه قبة تزار، يقع بالقرب من دار السيدة خديجة، ويستحب الدعاء فيه بين العشاءين، كان يختبئ فيه ﷺ من الكفار ويصلي فيه سرًا ومعه المؤمنين، حتى أسلم أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فقوي الإسلام. ثم اشترته الخيزران والدة الرشيد واشترت ما حوله وبنت فيه بيتًا، وبعد ذلك اشتراه

السلطان مراد خان عليه الرحمة والرضوان [ص٤٥] وبنى في موضعه مدرسة ومنزلان عاليان، وهي من جملة خيرات السلطان مراد خان، والله أعلم.

- وفي غار ثور يستجاب الدعاء.

- وفي جبل ثبير.

- وفي غار حراء.

- وفي مسجد البيعة، الكائن على يسار الداخل إلى منى، وهو مسجد آل إلى الخراب، وشرع في عمارته إبراهيم الدفتر دار، وبعد إتمام عمارته انتقل إلى رحمة الله. وفي موضع هذا المسجد بايع رسول الله ﷺ سبعون من الأنصار وحضر هذه البيعة حضرة العباس بن عبد المطلب.

- وفي مسجد المتكأ يستجاب الدعاء يوم الأحد صباحًا، وأنكر الأزرقي وجود مسجد المتكأ، وذكره ابن الضياء في البحر العميق، وذكر أنه يقع في مرتفع من الأرض، ويتصل ببعض دور بني شيبة. يقول صاحب هذا التاريخ اني وقفت عليه وفيه حجر يدل ويُعلم منه ذلك، والله أعلم.

ومن أماكن إجابة الدعاء في مكة المكرمة والمقيدة بالوقت في مناسك النقاش:

- خلف المقام وتحت الميزاب في وقت السحر.

- وعند الركن اليماني وقت الفجر.

- وعند الحجر الأسود نصف النهار.

- وفي الملتزم نصف الليل.

- وعند بئر زمزم وقت المغرب.

- وداخل البيت الشريف وقت الزوال.

- وفي الصفا والمروة وقت العصر.

- وفي المشعر الحرام بالمزدلفة بعد الإفاضة من عرفات.

- وفي عرفات يوم الوقوف بعرفات من الزوال إلى الغروب.

- وفي منزل السيدة خديجة ومقامها رضي الله عنها ليلة الجمعة.

- وفي مولد النبي ﷺ يوم الاثنين وقت الزوال.

- وفي دار الخيزران بين العشاءين.

- وفي مسجد الشجرة يوم الأربعاء.

- وفي مسجد المتكأ يوم الأحد صباحًا.

- وكذلك في مواضع ثور، وحراء، وثبير، والمدعى في هذا الوقت، والله أعلم.

- ومن أماكن استجابة الدعاء جبل أبي قبيس، وروى أن أول خلق جبل أبي قبيس استودع الحق تعالى فيه الحجر الأسود، وظل فيه إلى أن بنى حضرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام الكعبة المشرفة حين جاءه جبرائيل بالحجر الأسود منه. وجبل أبي قبيس كان في خراسان، وأحضره الحق تعالى إلى مكة المكرمة لأن فيه الحجر الأسود، وبعد أخذ الحجر الأسود منه، أراد الحق إرجاعه إلى خراسان، فتضرع جبل أبي قبيس إلى الحق تعالى أن يبقيه بجوار بيته الشريف، فقبل الحق تعالى تضرعه وأبقاه في مكانه، والله أعلم. [ص٤٦] وذكره الفاكهي من أماكن استجابة الدعاء، وروى أن أبى عاصٍ صعد جبل أبي قبيس وناب وتاب إلى الحق تعالى فقبلت توبته. وفي رواية أن قبر حضرة شيث فيه، والله أعلم.

وروي أن جبل أبي قبيس فيه صهريج يزوره بعض الناس على أنه قبر حضرة آدم، ويزوره البعض على أنه موضع شق القمر، وهذا غير صحيح، وروي عن بعض العلماء أن بعض جبال مكة المكرمة أفضل منه، والله أعلم.

– ومن أماكن إجابة الدعاء رباط الموفق، المعروف حاليًا باسم رباط المغاربة. روي عن الشيخ خليل أن الدعاء مستجاب في الرباط المذكور، وبخاصة عند بابه، وروي أن الشيخ عبدالله مطرف من الأولياء المشهورين كان إذا أراد أن يدعو يأخذ بيديه حلقة باب الرباط المذكور ويدعو بما في خاطره، والله أعلم.

– ومن جملة أماكن إجابة الدعاء المزار الشريف لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها الكائن في شعب بني هاشم بالمعلاة، وكان مقامًا صندوقًا خشبيًا يزوره الناس، ثم قام الأمير محمد بن سليمان الجركسي، دفتر دار مصر السابق، ببناء مزار السيدة خديجة رضي الله عنها بالحجر المنحوت، وجعل له قبة وتحتها التابوت الخشبي المذكور، وجعل له ستائر من الداخل، وعين له خادمان لتنظيفه وتبخيره وخدمة زواره، وذلك سنة خمسين وتسعمائة. ومن الصدقات السلطانية السليمانية أنه عين مرتبًا لخدمة المزار تصرف لهم سنويًا، ومازالت تصرف حتى الآن، والله أعلم.

– وفي مقبرة المعلاة عدة حوطات دفن فيها جماعة من الصلحاء:

منهم الفضيل بن عياض [ص٤٧] وعبد الكريم بن هوازن القشيري، والشيخ تقي الدين السبكي، والشيخ عبدالله بن عمر الطواشي، وغيرهم، ومن كبار الصلحاء قاسم بن عيينة، والشيخ أبي الحسن الكبي، والشيخ خليل المالكي، وبالقرب من هذه الحوطة يستجاب الدعاء.

وفي المعلاة أيضًا مزار أم سليمان المعروف يستجاب فيه الدعاء. وعند مزار الشيخ علاء الدين الكرماني النقشبندي صاحب التاريخ المتوفى سنة تسع وعشرين وتسعمائة يستجاب الدعاء، وقد جربه صاحب هذا التاريخ عدة مرات.

(يوجد بياض في الصفحة بما يوازي ستة عشر سطرًا، يبدو أنها تالفة في الأصل الذي نقل منه الناسخ، ويدل على وجود نقص).

... قدس سره. ومن أماكن إجابة الدعاء في المعلاة مزار الشيخ عبدالله بن عبد السلام بن عبد الرحمن [ص٤٨] الدكالي المعروف بأبي لكوطة، في شعبة النور، ويزار يوم الأربعاء وليلته، قدس سره.

ومن الأماكن المباركة في مكة المكرمة المواليد المتيمنة والمساجد المأثورة:

ومنها مولد أمير المؤمنين على بن أبي طالب ﵁، في موضع شعب على المعروف، بالقرب من مولد الرسول الأكرم ﷺ الشريف.

- وبالقرب منه مسجد ومولد حضرة حمزة ﵁، وهو معروف في أسفل مكة متصل ببازان بركة الماجن لعين حنين. وذكر الفاسي أنه لا يوجد أثر يدل على أنه مولد حضرة حمزة ﵁، بل هو مقامات لبني هاشم، لأن طوله خمسة عشر ذراعًا وثلث، وعرضه سبعة أذرع وربع، وفي صدره محراب، ويقع بابه بجوار بركة الماجن.

ومولد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ في جبل النوبي. وذكر الفارسي أنه لا يوجد أثر يدل على صحة هذا الكلام، وبجانب المولد قبر أبو الفضل النويري، يزوره العامة ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول من كل عام، والله أعلم.

ومولد جعفر الصادق من ذرية علي بن أبي طالب، الكائن بالقرب من باب العجلة، وعليه مسجد صغير قيل أنه من المواضع التي صلى فيها الرسول الأكرم ﷺ والله أعلم.

ومنها مسجد المرفق. روي أنه موضع دكاكين حضرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ورواية أخرى أنه موضع منزله، وفي مقابل هذا المسجد جدار فيه حجر كان يسلم على الرسول الأكرم ﷺ عندما يمر في هذا الطريق. وذكر الفاسي أن خبر الحجر الذي تكلم مع حضرته ﷺ صحيح وذلك قبل البعثة، والله أعلم.

وصاحب هذا التاريخ رأى هذا الحجر وهو على يسار مستقبل القبلة [ص٤٩]، وفي مسجد المرفق صخرة فيها أثر ما يشبه المرفق قيل أنه أثر مرفق الرسول الأكرم ﷺ، يزوره العوام ويذكرون أن له تأثير، والله أعلم.

ومنها معبد الجنيد ومعبد إبراهيم بن أدهم في سفح جبل قعيقعان، متصلان بمنزل القاضي حسين، والله أعلم.

ومن الجبال المأثورة في مكة المكرمة:

غار حِرَاء – بكسر الحاء وراء ممدودة مفتوحة غير منصرفة – يقع في جبل النور، وسمي بجبل النور لأن نور النبوة ظهرت فيه على الرسول الأكرم ﷺ. وكان يقيم فيه أيامًا عديدة يتعبد فيه قبل مبعثه، وفيه نزل عليه الوحي وهو غار مشهور ومعروف، ولا تدخله مياه الأمطار، والله أعلم.

(فراغ في هذه الصفحة بمقدار خمسة سطور).

- ومن الجبال المباركة في مكة المكرمة جبل ثور –بثاء مثلثة– وهو جبل

مشهور ومعروف، فيه غار مبارك يُزار. اختبأ فيه الرسول الأكرم ﷺ مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الكفار الفجّار، وهو المعني في آية ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾(١). وروي أن أبا بكر الصديق عندما توجه مع حضرته ﷺ، كان يمشي تارة عن يمينه، وتارة عن يساره، وتارة خلفه، فسأله ﷺ: لم تفعل هذا يا أبا بكر؟ فقال الصديق رضي الله عنه للرسول ﷺ [ص٥٠] لخوفي عليك، فقال له ﷺ وأمره: لا تخف، إن الله معنا.

وبعد ذلك وصل الرسول الأكرم ﷺ والصديق رضي الله عنه إلى الغار، وأراد حضرته ﷺ دخول الغار، فقال له الصديق بحقه تعالى ادخل قبلك، فأذن له. وفي المساء نام الرسول الأكرم ﷺ حتى أسفر الصباح، والصديق لم ينم. وقال لو حدث ضرر يلحقني ولا يلحق رسول الله ﷺ. وبعد ذلك أمر الحق تعالى العنكبوت بنسج بيتها على مدخل الغار، وأمر شجرة بالنبات على مدخل الغار، وأمر حمامة وحشية بعمل عشها والبيض فيه. وامتثل الجميع للأمر الإلهي.

وجاء الكفار يدلهم إلى الغار كرز بن علقمة، وقال الصديق لو نظر أحدهم إلى موضع قدمه لرآنا، فنهاه حضرة الرسول الأكرم عن الكلام، وقال له: ما ظنك باثنين الله ثالثهما. فلما رأى الكفار العنكبوت على مدخل الغار وعش الحمامة والشجرة النابتة تأكدوا يقينًا أن ليس في الغار أحد فرجعوا. [ص٥١] وروي أن الرسول الأكرم ﷺ مكث في الغار ومعه الصديق أحد عشر يومًا. وذكر المرجاني

(١) سورة التوبة، من الآية ٤٠

أن هذا الخبر يدل على عظمة المصيبة وعظمة التحمل والصبر في داخل الغار. وفي الرواية أن تحمل المشقة والألم قد قبلها الحق تعالى لأجل الدنيا، ولها معنى آخر وهو أن أصل الدنيا مبني على الحزن والألم، والله أعلم.

وللعامة ظن خفي فاسد، وهو أنهم يظنون أن من يستطيع أن يمر بين صخرتين عظيمتين في مدخل الغار ويدخل رأسه بينهما يكون من السعداء المقبولين، وهذا غير صحيح، وجاء أحد الحمقى وقام بقطع الصخرة على قدر قامة، والله أعلم.

(بياض في هذه الصفحة بمقدار خمسة سطور)

-ومن الجبال المباركة جبل ثبير الواقع على يسار الصاعد إلى منى، ومن هذا الجبل هبط كبش فداء حضرة إسماعيل عليه الصلاة والسلام . [ص٥٢] وروي في بعض كتب المناسك أن جبل ثبير من أماكن إجابة الدعاء، وفي رواية أن الرسول ﷺ كان يتعبد في مغارة في جبل ثبير قبل النبوة وعند ظهور الدعوة، وأن حضرة عائشة كانت تعتكف فيه.

وروي أن صخرة عائشة معروفة، وقد ضبط -الحقير- صاحب هذا التاريخ أن هذه الروايات غير صحيحة، وأن جبل ثبير ليس من أماكن إجابة الدعاء. وفي رواية للأزرقي بسند صحيح أن الحق تعالى تجلى إلى جبل الطور، فنقل ثلاثة جبال إلى مكة، وثلاثة جبال إلى المدينة، فأما الجبال المنقولة إلى مكة المكرمة فهي حراء وثبير وثور، وأما الجبال المنقولة إلى المدينة المنورة فهي ورقان واحد ورضوى، والله أعلم.

-ومن الجبال المباركة الجبل المقابل لثبير، والذي بقربه مسجد الخيف

بمنى، وفيه غار المرسلات، وفيه صخرة ارتفاعها ستة أشبار، قيل أن الرسول الأكرم ﷺ جلس بقربها وأسند رأسه الشريف عليها؛ فانخاست الصخرة على قدر رأسه الشريف، وحالًا الناس يتبركون بوضع رؤوسهم فيها.

وذكر ابن خليل أن مسجد المرسلات من المساجد المستحب زيارتها.

(فراغ في الصفحة بمقدار ثمانية سطور)

[ص٥٣] ومن الجبال المباركة جبل خندمة الواقع خلف جبل أبي قبيس، وهو جبل كبير. روى ابن عباس رضي الله عنهما أن الأمطار الساقطة على جبل خندمة لا ينتفع بها البتة، وأن فيه قبر سبعون نبيًا، عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام. ويشرف جبل خندمة على شعب عامر واجياد الصغير. وهو جبل معروف عند أهالي مكة المكرمة حالًا.

وأما المساجد المباركة في مكة المكرمة فهي كثيرة. بعضها مازال أثره موجود. وتركت ذكر بعضها، وذكرت بعضها للفائدة:

منها مسجد الإجابة الواقع يسار شعبة ثنية اذا خر، وهي عبارة عن عقبة. يقع غربها المعابدة في طرف الأبطح. وموضعه من الأماكن التي صلى فيها الرسول الأكرم ﷺ. وفيه حجر كتب فيه أنه مسجد الإجابة. وهو حاليًا تحت الصيانة.

ومنها في أعلى مكة المكرمة مسجد يعرف باسم مسجد الجن. وذكر الأزرقي أن أهالي مكة يسمونه مسجد الحرس.

(فراغ في هذه الصفحة بمقدار احد عشر سطرًا)

[ص٥٤] يقع في مقابل الحجون. وسمي بمسجد الحرس لأن الحرس

يجلسون بقربه. وفي رواية عن ابن مسعود ﷺ أن الرسول الأكرم ﷺ خط خطًا لابن مسعود وأمره أن لا يتعداه ليلة بيعة الجن للرسول الأكرم ﷺ.

ويقول صاحب هذا التاريخ، ومنها مسجد قبله في المكان المسمى دار الفرهادية وبعده تتفرق الطرق، والله أعلم.

ومنها في المدعى عند الباب الذي يذبح عنده، مسجد قيل أن الرسول الأكرم صلى فيه المغرب، ويقول صاحب هذا التاريخ أنه مسجد لطيف له ثلاثة جوانب مفتوحة، والله أعلم.

ومنها في أسفل مكة المكرمة مسجد ينسب إلى حضرة أبي بكر الصديق ﷺ، ويعرف حاليًا باسم مسجد دار الهجرة. قيل أن الرسول ﷺ التقى أبا بكر الصديق فيه للهجرة، ويزوره الناس إلى وقتنا الحاضر، والله أعلم.

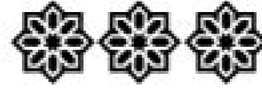
ومنها مسجد بقرب التنعيم يعرف باسم مسجد عائشة ﷺ، يقع عند ميلي حد الحرم. كما يعرف باسم مسجد الهليلجة لوجود شجرة هليلجة بقربه. ويقول صاحب هذا التاريخ أن في جدرانه بعض الآثار. وروي أن الرسول ﷺ أرسل أم المؤمنين عائشة مع أخيها للاعتمار من هذا المسجد الشريف. ومازال الناس يعتمرون من هذا المسجد لأنه خارج عن حد الحرم، ومن أحرم قبله يجب عليه الرجوع والله أعلم. وهذا الحقير قد صلى في هذا المسجد الشريف وأحرم منه بدون شبهة ولاشك، والأجر على قدر المشقة.

وبترجمة مسجد حضرة عائشة ﷺ الشريف ختام هذا التاريخ.

ويسأل هذا الحقير بوجه الباري تعالى ﷻ، وبحرمة الرسول ﷺ؛ حسن

الخاتمة والتيسير. اللهم أرزقنا حسن الخاتمة.

ثم استراح القلم من تحرير تاريخ مكة المعظمة يوم الثلاثاء، ثامن شـهر ربيـع الثاني، وهو من شهور سنة ثلاث وسبعين بعد الألف.



تمت بحمد الله وعونه ترجمة نص كتاب «الأخبار المكية»

لمحمد عاشق أفندي الرومي

وكان ختام تحريره ليلة الجمعة الرابع عشر من شهر

صفر سنة ألف وأربعمائة وتسعة وثلاثين

من هجرة من له العز والشرف

عليه وآله أفضل

الصلاة وأتم

السلام

*

المحتويات

